



التعارض بين الحقائق العلمية الحديثة والقرآن الكريم في سياق الترجمة الخاطئة لمعانيه:

دراسة في الأسباب والدوافع

The Contradiction between Modern Scientific Facts and the Holy Qur'an in the Context of Mistranslation of its Meanings: A study of Motives and Causes

شهاب نقادي¹

د. نذير أوسالم²

Abstract :

The dilemma of conflict between religion and science in the context of dialectical discourse constituted an "obsession" among thinkers and clerics in various philosophies and religions since ancient times, and the error in translating the meanings of the Qur'an at the intersection between the Qur'anic text and modern scientific facts, may intensify this dilemma Maurice Bucaille (d.1998) has always emphasized this particular problem in more than one place and made it one of the obstacles to the Islamic call recently in the West, rather he claimed - with an apprehensive look - that the motive for the error is subjective and intentional. The significance of this study lies in correcting the position of the Qur'an towards modern scientific facts in the context of the correct translation. Accordingly, the aim of this study is to identify the topical and objective translational problems of the cosmic and natural verses, whether at the linguistic level of the translated text or at the translator's epistemological and ethical level, in order to confirm Maurice Bucaille's claim on the motives and reasons of errors. By implementing the analytical and comparative method and applying the critical approach on translating some verses by translators with different doctrinal backgrounds towards the Qur'an We have concluded on the one hand, and those with different levels of knowledge on the other, that the causes of errors are mainly due to the complex linguistic nature of the Qur'an as an internal reason, and the modest scientific balance of some translators in the field of cosmology and naturalism as an external reason, just as all the translation errors which we studied in this the self-motivation and selective behavior article were inevitable and spontaneous, However, towards some mistranslations of those who stand on the opposite side of the Islamic discourse do exist, but in the field of ideological debate far from the official translations of the Qur'an in what appears.

Keywords : scientific facts, The Holy Qur'an, contradiction, mistranslation, fresh translation.

¹جامعة أحمد بن بلة (وهران) - الجزائر - negadi_chiheb@outlook.fr

Chiheb Nagadi, Université Ahmed ben Bella Oran, Algeria

²جامعة أحمد بن بلة (وهران) - الجزائر - mohammeduni2022@gmail.com

Nazeer Ausalem Université Ahmed ben Bella Oran, Algeria

الملخص:

تشكل معضلة تعارض الدين مع العلم في سياق الخطاب الديالكتيكي هاجسا لدى المفكرين ورجال الدين في مختلف الفلسفات والديانات منذ القديم، والخطأ في ترجمة معاني القرآن في محل التقاطع بين النص القرآني والحقائق العلمية الحديثة مما قد يزيد من طين تلك المعضلة بلة. لطلما أكد موريس بوكاي (ت.1998) على هذه الإشكالية تحديداً، في أكثر من موضع، وجعلها أحد معوقات الدعوة الإسلامية حديثاً في الغرب، بل ادعى -بنظرة توجسية- أنّ دافع الخطأ فيها ذاتي ومتعمد. تكمن أهمية هذه الدراسة في تصحيح وضعية القرآن اتجاه الحقائق العلمية الحديثة في سياق الترجمة الصحيحة، وعليه فإن الهدف من هذه الدراسة هو الوقوف على المشكلات الترجمائية الموضوعية والموضوعية للآيات الكونية والطبيعية، سواءً على المستوى اللغوي للنص المترجم أو على المستوى الإبتيمولوجي والإيتيقي للمترجم، وذلك للتأكد من دعوى بوكاي في أسباب الخطأ ودوافعه. وبعد إعمال المنهج التحليلي والمقارن وتطبيق المقاربة النقدية على ترجمات بعض الآيات من طرف مترجمين ذوي الخلفية العقيدية المختلفة اتجاه القرآن من جهة، وذوي المستويات المعرفية المتفاوتة من جهة أخرى، قد توصلنا إلى أن أسباب الأخطاء ترجع أساساً إلى الطبيعة اللغوية المعقدة للقرآن كسبب داخلي، وإلى الرصد العلمي المتواضع لدى بعض المترجمين في مجال الكونيات والطبيعات كسبب خارجي، كما أنّ كل الأخطاء الترجمائية التي درسناها في هذا المقال كانت حتمية وعفوية، مع ذلك فإن الدافع الذاتي والسلوك الانتقائي اتجاه بعض الترجمات الخاطئة عند من يقف في الجانب المعاكس للطرح الإسلامي موجود فعلاً، لكن في الحقل السجالي الإيديولوجي بعيداً عن الترجمات الرسمية للقرآن فيما يظهر.

الكلمات المفتاحية: الحقائق العلمية، القرآن الكريم، التعارض، الخطأ الترجماتي، الترجمة الفرنسية

مقدمة:

شكّلت معضلة تعارض الدين مع العلم "هاجسا" لدى الباحثين والمفكرين ورجال الدين في مختلف الفلسفات والإيديولوجيات والديانات منذ القديم؛ ولا يزال الهاجس قائماً، ولعلّه سيبقى كذلك، غير أنه ثمة استثناء سجّله التاريخ في صدر الإسلام إلى عصره الذهبي، إذ كان الوحي نفسه مصدر إلهام للتقدم الفكري في جميع المجالات لدى المسلمين وغيرهم، فكيف يتعارض الوحي بالعلم آنذاك؟، أو على الأقل لم تكن تلك المعضلة مطروحة بالشكل الذي يصوّر لها منذ نهاية القرن 19 إلى هذه الأيام، أقصد من أيام البعثات المصرية نحو أوروبا إلى الانفجار المعلوماتي -حالياً- عبر القنوات الفضائية والإلكترونية، حيث أصبحت "الموضة" الفكرية التي يُجلب بها أنظار العامة قبل الخاصة، ومن المواضيع "التراندية" التي تُحصّل بها أقصى عدد من المشاهدات والتعليقات على المواقع والمنصات التواصلية.

لا تدور إشكالية المقال حول هذا الجانب الديالكتيكي العام بالبحث، والتي تتشعب فيه السبل وتتقاطع فيه المعارف المختلفة، ولكن الإشكال المقصود بالخصوص هو الوقوف على ما قد يزيد من طين تلك المعضلة بلة، وهو الخطأ في ترجمة معاني القرآن الكريم في محل التقاطع بين النص القرآني والعلوم الحديثة، وبطرح أدق وأعمق ومباشر، هو الوقوف أولاً على أسباب الخطأ، هل اقتصر

على السبب المتعلق بالنص المترجم فقط؟ أم هناك سبب آخر؟ يتعلق بالرصيد العلمي لدى المترجم؟ أم هو مزيج منهما بدرجة متفاوتة؟، ثم الوقوف ثانيا على الدافع من الخطأ، هل هو حتمي وعفوي، أم اختياري ومتعمد؟ وهل ثمة أمثلة واضحة للاحتمال الثاني أم هي مجرد نظرة توجسية اتجاه "الأخر"؟، إشكالية مركبة من إشكاليات متفرعة عنها لظالما أكدها وكتر ذكرها موريس بوكاي (ت. 1998م) في أكثر من موطن* وجعلها أحد معوقات الدعوة الإسلامية عند الغرب (الأعاجم) في عصر التطور والابتكار، واضحة القرآن موضع المعارض للتقدم والحداثة، والمناقض للاكتشافات والابتكارات، كما حدث ذلك للكتاب المقدس من قبله إبان الثورة العلمية/التنويرية في أوروبا.

احترازا من تداخل إشكالية المقال بإشكاليات أخرى -قريبة منها أو لازمة لها-، يجدر التنبيه -من البداية- بأن إشكالية عدم ثبوت الإعجاز العلمي للقرآن الكريم بسبب الترجمة الخاطئة غير مقصودة في هذه الدراسة، فبغض النظر عن الخلاف القائم في اعتبار "الإعجاز العلمي" وجهاً صحيحاً لإعجاز القرآن، إلا أن ثبوت الخطأ العلمي في القرآن -في إطار النظرة الإيمانية بموثوقيته ومصداقيته - أخطر بكثير من عدم ثبوت السبق العلمي فيه، كما أن إشكالية وقوع التعارض في النص الأصلي (باللغة العربية) مع الحقائق العلمية الحديثة، خارج عن محل الدراسة -كذلك-، إذ يكمن حلّه في مسالك مخرجة ومكيفة على التراث التفسيري لرفع التعارض ودفعه، ففي هذه الإشكالية، الأعجمي -مثله مثل العربي-، يرجع لحل الإشكالية خارج البحث الترجماتي، لأن التعارض قد وقع افتراضا بلغة الأم.

تكمن أهمية هذه الدراسة في تصحيح وضعية القرآن اتجاه الحقائق العلمية في سياق الترجمة الصحيحة، أي من وضعية التعارض إلى وضعية التوافق بعد العملية النقدية للترجمة الخاطئة، والتي تبقى -أي الترجمة- الخيار الأسهل لدى الأعاجم للاطلاع على معاني القرآن -بخلاف تعلّمهم لغة الأم-، كما تُعدّ الطريق الأخصر عند الدعاة المسلمين في تبليغ الإسلام لغير المسلمين من الأعاجم -بخلاف تعلّمهم لغة الهدف-.

يهدف الموضوع -إذا- إلى الوقوف على مشكلات الترجمة المؤسسية والمؤسوعية للآيات الكونية والطبيعية، سواء على مستوى النص المترجم أو على المستوى الإبتيمولوجي والإيتيقي للمترجم، ومنه التأكيد من دعوى موريس بوكاي (ت. 1998م) في تعلق أسباب الخطأ بالجانب اللغوي للفظ "العلمية" في النص المترجم، والتكوين "العلمي" لدى المترجم؛ ومن دعواه أيضا في أن الدافع للخطأ الترجماتي كان متعمدا. سنفترض ابتداء صحة ما ذهب إليه بوكاي بحكم تخصصه العلمي المتنوع (الطب، الأركيولوجيا، مقارنة الأديان...) وإتقانه للغات متعددة (الفرنسية والإنجليزية والعربية)، ثم بالنظر إلى التعلق المزدوج لموضوع الترجمة نفسه (الكونيات والطبيعات في القرآن) بالجانب اللغوي والعلمي على السواء، فتكون الأسباب متعلقة بالجانبين، أما من جهة دراسة الدوافع، فإن بدايات ترجمة القرآن (القرن 17) التي كانت بين أحضان الاستشراق، والذي لا يمكن إنكار تحيزه آنذاك، وأن انتماءات الإيديولوجية للمترجمين، والتي لا يمكنهم الانفكاك عنها، قد تؤثر في توجيه الترجمة على حساب المراد من القرآن في الإطار الإسلامي.

* على سبيل المثال في كتابه: «La Bible, Le Coran et la science» و

« Réflexions sur le Coran»

قادتنا إشكالية البحث وأهدافه إلى انتهاج المنهج الوصفي التحليلي في معالجة فروضه، والمقارن في دراسة الأمثلة وبتسليط المقاربة النقدية الترجمانية عليها، مهيكليين المقال على شكل مبحثين ذوي ثلاث مطالب، حَرَزْنَا في المبحث الأول محل النزاع لمعضلة تعارض القرآن بالعلم الحديث - باختصار-، متهدين بذلك الوُجُوح إلى عالم الترجمة الواسع من زاوية ضيقة في المبحث الثاني، نعالج فيه أسباب الأخطاء المفترضة في محل تقاطع القرآن والعلم الحديث (لغويا ثم إبستمولوجيا)، محاولين الوقوف على دافع تلك الأخطاء (إيديولوجيا)، وقد تمت الدراسة في ظل التراجم باللغة الفرنسية لكونها لغتنا الثانية بعد العربية، كما قد تعمّدنا تنوع اختيار الترجمات سواء على مستوى قدمها وحدائتها، أو على مستوى انتماءات أصحابها الدينية، أو تفاوت مستوياتهم المعرفية للعلوم الكونية والطبيعية، آمليين بذلك، أن نحقق الموضوعية والدقة العلمية المطلوبة في مثل هذا الموضوع الحساس والمتشعب.

المبحث الأول: التعارض في محل التقاطع بين الحقائق العلمية الحديثة والقرآن الكريم:

المطلب الأول: الإطار الإبستمولوجي للحقائق العلمية الحديثة:

في خضم هذه الثورة العلمية المتسارعة والمتجددة، والتي اتخذت من منصات السمعية/البصرية/السيبرانية منبرا لإيصالها إلى الجمهور العريض، يتحتم على المتلقي غربة وتمحيص بين ما هو زائف وحقيقي، والتفريق بين ما هو مُسلّم وما هو نظري وفرضي، كما يتعيّن عليه أيضا التميّز بين ما يعتمد على الرصد والمشاهدة والصرامة المنهجية التجريبية، وبين ما ينطلق من التخمين والخيال ومجرد طرح توقّعي، وبتعبير فلسفي: "يجب أن تُؤطر المعلومة إبستمولوجيا قبل أن تُتبني معرفيا"، خاصة إذا ترتّب على تبني تلك المعلومة من المتلقي اتخاذ موقفا فكريا ونظريا، قد يؤثر على نظريته الوجودية لذاته وللكون، ومن ثمة على سلوكياته وقراراته وإنتاجه العملي وعلاقاته مع غيره فيما بعد.

يمكن تحديد مجال اللغوي/الإدراكي/الحكمي لـ "الحقيقة"، اعتمادا على تأثير اللغة في الفكر وأثر الإدراك في الحكم وتأثر الحكم بذلك كله، وعليه يقال أنّ الحقيقة هي إما الشيء الصادق، أو الشيء الصائب، فالأول من منظور أخلاقي للحقيقة ينطلق من معتقدٍ وحديسٍ، والثاني من منظور معرفي للحقيقة يعتمد على الملكات الحسية³، وبذلك فإننا نستطيع أن نحكم على الشيء -أي شيء- بأنه حقيقي من خلال منظورين:

- الأول، هو القناعة المعرفية/الفطرية القائمة على الضروريات العقلية، ولا يشترط لذلك وجود أدلة حسية للجزم بحقيقة الأشياء، إنما يعتمد على البدهة والغريزة والفطرة والوازع الأخلاقي.

- الثاني، الإدراك الحسي الملموس، بعد التأكد من سلامة الحواس، حيث تعتبر المعتمد الأساسي في حقل الحقائق والعلوم التجريبية التي تعتمد -بدورها- أساسا على "الملاحظة"، أي "المشاهدة".

بناء على ما سبق وبإضافة "الحقيقة" إلى "العلمية" فإن "الحقيقة العلمية" تأخذ معناها الدقيق والموضوعي واليقيني إذا كانت:

- مرصودة مشاهدة: مباشرة أو عن طريق آلة رصد، كرصد النجوم والخلايا وتطور الجنين وتحرك طبقات الأرض والجبال والرياح والأرض والكواكب والموجات الراديوية للكون وغيرها.

³مُجّد سيّد، الحقيقة المطلقة بين العلم والفلسفة، <https://www.ida2at.com/truth-between-science-philosophy>

- معقولة ضرورية: وهو أشبه بالغريرة "أو الفطرة العقلية" التي لا يمكن دفعها إلا بالمكابرة والسفسطة، فعلى بساطتها وقتلتها فإن عقل الإنسان يضطر للتسليم بها (ومنها نُعتت بالضرورية)، كقاعدة الكل أكبر من الجزء ومبدأ السببية، واستحالة اجتماع النقيضين وغيرها مما يبني عليها ويتفرع منها الحقائق.

إن تحديد مفهوم "الحقيقة العلمية" يجعل المفكر المسلم بموثوقية ومصادقية القرآن، والمستقبل للكلم الهائل من المعلومات في العصر الحديث (عصر الانفجار المعلوماتي والطغيان المادي)، أقول يجعله يقف وقفة المتحري المتأني المميز بين ما يمكن أن يُقبل -مؤقتا- في محلّ التعارض مع القرآن الكريم، بيد أن يُدرس ويوجد له محملاً، وبين ما يرفض -ابتداء- كون تلك الحقيقة المزعومة هي في الأخير تخمين وخيال علمي؛ كما أن طبيعة التجدد المعرفي وحركيته وتراكميته وتجاوزيته، في مقابل النص القرآني الذي قرّر بنفسه وفي طياته البعد العالمي في خطابه الهدائي، تجعل المتلقي -مهما كان توجهه العقدي والإيديولوجي- يراعي طبيعة الحقيقة المعرفية العلمية من جهة، وينزل للتقرير القرآني من جهة أخرى، ويحاكم إمكانية تعارضهما في ظل تلك المراعاة وذلك التقرير، لتحقيق الموضوعية القصوى في مثل هذا الطرح الفكري الديالكتيكي الحساس والمحمّل بالخلفيات.

المطلب الثاني: الإطار المقاصدي/المنهجي للطبيعات والكونيات في القرآن الكريم:

للوصول إلى المقصد والمنهج الإلهي في سرد الكونيات والطبيعات في القرآن، لا بد من إعمال آليات التفسير الموضوعي كإجراء نستطيع من خلاله تحدد التوظيفات أولاً ثم الروابط بينها وبين المضامين القرآنية الأخرى ثانياً. يمكن حصر تلك التوظيفات بعد إحصاء 750 آية تشير إلى الظواهر الطبيعية -بطريقة مباشرة أو غير مباشرة-، ثم التأمل في سياقاتها وأسباب نزولها ومناسبات ورودها، لتتوصل إلى أنها تتمثل أساساً في:

- الدلالة على الإيمان بالله (وحدانية الله) وإمكان الغيبات، من مثل قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ." (القرآن، 1: 21-22)، وقوله: "أَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُشْرِكَ سُدًى. أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى. ثُمَّ كَانَ عَاقَةَ فَخْلَقَ فَسَوَّى. فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى. أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى." (القرآن، 75: 36-40).

- القسم بما تعظيماً لها، ثم تعظيماً لله بواسطة القسم بها، من مثل قوله تعالى: "فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ. فَلَا أُفْسِحُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَفَسَّمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ. إِنَّهُ لَفَرَّانٌ كَرِيمٌ." (القرآن، 56: 74-77)، وقوله: "وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ. النَّجْمُ الثَّاقِبُ." (القرآن، 86: 1-3) و: "وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى. وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى. وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى." (القرآن، 92: 1-3).

- ضرب الأمثال بها، وتقريب المعاني إلى ذهن المتلقي، من مثل قوله تعالى: "اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ." (القرآن، 24: 35)، أو قوله: "مِثْلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمِثْلِ الْعُنُكُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعُنُكُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ." (القرآن، 29: 41).

من خلال هذه التوظيفات يتضح لنا المقصد الأساسي لسرد الآيات الكونية والذي يمكن تحديده حصراً في تحقيق مقاصد الهداية، كالتوحيد والعبادة وإصلاح الفرد قبل المجتمع، وعليه فإن المنهج المتبع في سرد الكونيات والطبيعات والذي يتوافق مع هذه المقاصد هو:

- ربط الآيات الكونية بمجالات الإصلاح الديني فقط، كإصلاح العقائد ونظرة الإنسان لذاته وتحقيق العمران في الأرض، مما يجعل الآيات الكونية في القرآن الكريم مقصودةً لغيرها لا لذاتها، وبالتالي خارج المجال العلمي.
- الاختصار والإجمال والاقتضاب في سرد الآيات الكونية، وتغليب العموميات والكليات والبعد عن التفصيل والإسهاب كما تفعله مناهج البحث العلمية الحديثة في مجال الطبيعيات والكونيات.
- اعتماد المعلومات الكونية القابلة للرصد كالإبل والجبال والنجوم وغيرها، أو التّصوّر الذهني على أساس الضروريات العقلية كنشأة الكون من عدم وحقيقة الفطرة الإنسانية ومسالك الجدل المنطقية (حجاج إبراهيم لقومه).
- السكوت عن مجالات ومعلومات كثيرة جداً، حيث يمكن القول بأنه الأصل في المعلومات الكونية - كمعطيات للإنسان-، مسكوت عنها في القرآن الكريم - كمصدر معرفي-، وعليه فإن منهج القرآن في سرده للكونيات والطبيعيات هو:
- فتح المجال للفكر وإعمال العقل في نفس المجالات العلمية الكونية القرآنية المشار إليها أو في المجالات أخرى من خلال النموذج والمقصد القرآني المقدم في التعامل مع الآيات الكونية.
- إعمال المصطلحات وأساليب قرآنية التي يفهمها العربي أثناء التنزيل لتحقيق مقصد الهداية، كما يدرك معناها من بلغة القرآن في أي زمان ومكان إلى قيام الساعة، باعتبار عالمية القرآن المنصوص عليها فيه.
- صدق الوصف كونها أخباراً في القرآن، والخبر القرآني كله صدق وحقيقة في مستوى المدرك من لغة العرب الأصلية، رغم حدوث توسّع للمعنى فيما بعد، ولو كان غير ذلك لانتقض القرآن من داخله، حيث ينتقل محلّ التعارض ما بين الحقائق العلمية وعلمية القرآن إلى ما بين الحقائق العلمية وعلمية القرآن.

المطلب الثالث: بين الحقائق العلمية الحديثة والقرآن الكريم، تعارض أم لا؟، تحرير محلّ النزاع:

يُعتبر تحرير محلّ النزاع -أو كما يعبر عليه الأصوليون بتحقيق المناط- من أهم عناصر البحث التقابلي بين متغيرين ظاهرهما التعارض، وذلك لأن أكثر المعارضات هي في حقيقتها خارجة عن محلّ النزاع، ومنفكةً للجهة، وعدم تحرير محلّ النزاع يُهدر جهداً وأوقات الباحثين في أمرهم في الحقيقة متفقون عليه صورياً أو مختلفون عليه جذرياً، وقد لاحظنا هذه المفارقة من خلال الاطلاع على الكثير من السجلات المنعقدة في موضوع تعارض القرآن الكريم بالحقائق العلمية.

يمكن تخريج تقابل الثنائيتين "القرآن/العلم"، على النموذج التوفيقي الذي اقترحه ابن رشد (ت.595هـ) بين "الشريعة/الحكمة" وبعده ابن تيمية (ت.728هـ) بين "النقل/العقل"، ورغم الاختلاف المنهجي والسياقي بين النموذج (الرشدية و التيمية)، إلا أنهما يلتقيان في نقطة مشتركة ومسلمة بين جميع الأطراف⁴، وهي إعمال العقل والتفكير والتدبر والتفقه وتقليب الأمور وضرب الأمثال، والتي يرتبط ذلك كله ب: الحكمة والعقل والمنطق والفلسفة و"العلوم"، ارتباط الوسائل بالنتائج، وأن طرح المقابلة بصورة المناقضة هي في الحقيقة فقرة منهجية تتمثل في محاكمة كل طرف من الثنائيتين بمنهج ومقصد الطرف الآخر المختلف، وعدم احترام خصوصية وطبيعة كل طرف، وهذا ما جعلني أقدم على هذا المطلب بالتأطير الإستيمولوجي للحقيقة العلمية، ثم بالتأطير المقاصدي لموضوع الكونيات والطبيعيات في القرآن الكريم.

⁴ هناك نماذج أخرى لا تقل أهمية من النموذج الرشدية والتيمية، كالنموذج السيوني والكندي والغزالي والزازي وحتى الحزيمي لكن طلباً للاختصار ذكرت أشهرها والتي تمت الكتابة فيها مباشرة.

فلو استبعدنا ما سكت عنه الشرع في باب الكونيات والطبيعات والذي هو بنزلة ما سكت عنه الشرع من الأحكام الفقهية⁵، ولو استبعدنا الدلالات الظنية في النصوص القرآنية، ولو استبعدنا أيضا الفرضيات والنظريات العلمية، ولو تحققتنا من اشتراك المحل الموضوعي والموضوعي والمصطلحي بين القرآن والعلم الحديث، فإنَّ محلَّ النزاع -إذا أردنا تحريه- هو وقوع التعارض بين آية قرآنية تُعتبر نصاً ظاهراً لا يحتمل التأويل، وحقيقة علمية مرصودة أو معقولة ضرورة لا تقبل التغيير، في محلِّ موضوعي ومصطلحي مشترك، وهذا لا وجود له كما جزم بذلك ابن رشد⁶(ت.595هـ) وبعده ابن تيمية⁷(ت.728هـ)، في نموذج الشريعة/الحكمة والنقل/العقل، وقد نقل الشوكاني (ت.1250هـ) الاتفاق على ذلك بين الأصوليين كالرازي (ت.606هـ) والزرکشي (ت.794هـ)، ثم علّق على ذلك الاتفاق بأن حصول التناقض بين الأدلة القطعية النقلية/العقلية يلزم منه القدح في الضروريات وهو سفسطة، وأنّه إذا تُؤكّد من ثبوتهما (أي العقل والنقل) امتنع التعارض⁸.

ثم إنَّ اتحاد الخبر (القرآن) والخبر (الظواهر الطبيعية) في جهة واحدة، وهو "الله"، يقتضي التوافق بين الحقلين وإلا لوقع التناقض في أساس الشريعة وانتقل النقاش من تعارض القرآن بالعلم إلى نقاش تيولوجي/فلسفي عن صحة الدين من الأصل، وهذا بالذات كان أحد أبواب التقد الذي تعرّض له الكتاب المقدّس إثر الثورة العلمية في أوروبا عصر الأنوار ثم عصر التّهضة، وبدأ بنقد الكتاب المقدس في نموده الكوسموغوني والكوسموغرافي للكون، وكذا النموذج الجيوستري للمجموعة الشمسية⁹، وسياقه الكرونولوجي لنشأة الكون وعمر الأرض وتواجد الإنسان عليها¹⁰، ثم توسّع النقد إلى النقض في عصر الحداثة وما بعدها، إلى أن أصبح الإلحاد البديل "العقلاني" للدين في أوروبا إلى يومنا هذا¹¹، ومعلوم لدى المؤرخين والنقاد الفارق في القياس بين القرآن الكريم والكتاب المقدّس من حيث ملاسبات جمعهما وطبيعة ومنهج ومقاصد مضامينهما، فلا وجه لسحب التجربة الثورية "العلمية" من الكتاب المقدس وإسقاطها على القرآن الكريم لأجل تلك المفارقات.

بل إنَّ عدم اصطدام المكتشفات العلمية بالقرآن الكريم في حدّ ذاته اعتُبر وجه من وجوه الإعجاز عموماً ومستوى من مستويات الإعجاز العلمي خصوصاً، حيث اصطلح عليه بـ "المقام السبلي في السبب العلمي للقرآن الكريم"¹²، وهذا المستوى محلّ اتفاق بين

⁵ ابن رشد، فصل المقال، ص79.

Ibn e Rushd, Fasl al Maqal, p.79

⁶ المرجع السابق، ص96.

⁷ ابن تيمية، درء التعارض، ج1/ص79.

Ibn e Taimiyyah, Dar al ta'arud, vol. 1, p. 79

⁸ الشوكاني، إرشاد الفحول، ص1121.

Al Shaukani, Yrshad al Fahul, p.1121

⁹ Draper, History of Conflict Between Religion and Science, p150.

¹⁰ Ibidem, p182.

¹¹ العميري، ظاهرة نقد الدين، ج1/ص64-71، ج1/ص87-89.

Al Umairi, Zahirat Naqd al Din

¹² العريفي، منهج الاستدلال بالمكتشفات العلمية، ص309.

Al Arifi, Manhaj al Istadlal bi al Muktashafat al 'Ilmiyyah

المنظرين الإسلاميين، حتى من الذين عُرفوا بالرفض القاطع والعنيف للإعجاز العلمي -جملة وتفصيلاً- بمعناه المعهود، كالأستاذ أمين الخولي¹³ (1385هـ).

المبحث الثاني: الترجمة الخاطئة لمعاني آيات الطبيعيات والكونيات، الأسباب والدوافع:

أرجع موريس بوكاي (ت.1998م) -بشكل صريح وجازم- كل من السبب والدافع للترجمة الخاطئة لمعاني آيات القرآنية المتضمنة للكونيات والطبيعيات إلى ناحيةٍ خارجةٍ عن النصِّ ومتعلّقةٍ بالمتّرجم؛ أما السبب، فهو تكوينه ورصيده المعرفي في مجال العلوم التجريبية والطبيعية، وأما الدافع، فهي خلفيته الإيديولوجية والفكرية في نظرته للكون والوجود والدين عموماً، وللإسلام والقرآن خصوصاً، في حين يُظهر بوكاي اضطراباً في اعتبار السبب الذي يرجع إلى الناحية الداخلية، أي الطبيعة اللغوية للنص، فمرة يصرح بسهولة ترجمة تلك المعاني وإمكانها، ليلتمح إلى الأسباب الخارجية¹⁴، ومرة يعترف بصعوبة ترجمتها بسبب الدقة البلاغية التي تصاحب تلك الألفاظ، والتراكيب النحوية والأساليب في التعبير عن تلك الظواهر في القرآن¹⁵، ولنبداً بالسبب الأخير (الداخلي) ثم نعالج بعده السبب الآخر الذاتي (الخارجي)، وكذا الدافع:

المطلب الأول: السبب اللغوية وراء الترجمة الخاطئة لمعاني آيات الكونيات والطبيعيات:

تظهر جلياً من تعريف الترجمة والتي هي "التعبير بلغة ثانية عن المعاني التي تمّ التعبير عنها بلغة أولى"¹⁶، مركزية وأهمية إدراك المعنى لدى المترجم، وأن محاولة إدراك المعنى باللغة الأصلية هي أول مراتب الترجمة قبل أن يكون لها وجود خارجي (بمنطوق المترجم أو بمكتوبه)، وإذ أنّ النص المترجم هو القرآن الكريم، فإن اعتبار خصوصيته، سواءً اللغوية في ذاته كنصّ، أو الاعتقادية في بنائه كمقدّس، يمثّل أول شرطٍ لإدراك المعنى عند المترجم، أي -بالمقابل- أكبر عائقٍ للترجمة الصحيحة.

باستحضار ما قد مرّ بيانه في المبحث السابق من الإطار المقاصدي والمنهجي للقرآن الكريم في وصفه الظواهر الطبيعية، وانطلاقاً من خصوصية القرآن ذات الطابع المقدّس، فإن اللغة المستعملة لوصف تلك الظواهر الطبيعية من منظور إيماني، تتعلّق بصفتين لله تعالى، والمتمثّلتين في الصدق والخبرة؛ صدقٌ تامٌّ لأنّ الوصفَ خبرٌ، والخبرٌ من الله صدقٌ، كما في قوله تعالى: "وَمَتَّ كَلِمَةً رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا" (القرآن، 6: 115)، و الخبرة التي اشْتُفَّت منها اسم الله الخبير، والذي يقتضى الدقّة المتناهية عند الوصف لقوله تعالى: "أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ" (القرآن، 67: 14)، وعليه فإن لغة القرآن المرتبطة بتلك الصفات الإلهية سيكون مقتضاها مطابقاً للواقع وفي نفس الوقت دقيقاً عند الوصف، ولا يمكن الاعتراض عن هذه الخاصيتين للوحي بأنّه "مادام القرآن نزل بلسان عربي مبين، فإنه سيستعمل عُرف العرب ومعهودهم عند الوصف، وسيوظفّ البديع والبيان الذي من عادة العرب فيه التضخيم والتفخيم

¹³ الخولي، مناهج تجديد، ص222.

Al Kholi, Manahij Tajdid

Talbi, Réflexions sur le coran, P231 Bucaille, ¹⁴

¹⁵ على سبيل المثال عند ترجمته لقوله تعالى: " أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ ۗ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ ۗ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ" -الملك19- يقول:

La bible le 'Maurice buaille, «la traduction d'un mot de chacun de ces versets est délicate»

p196, 1976, Paris, Seghers, coran et la science

¹⁶ البوشيخي، "نقل معاني القرآن إلى لغة أخرى بين الترجمة والتفسير"، ص11.

Al Boshikhi, Naql Ma'ani al Quran ila Lughatin ukhra ban al Tarjamati wa al Tafsir

والتعظيم والتجوّز والتوسّع في الكلام"، أقول لا يمكن الاعتراض بذلك لأن المتكلم هنا (الله) له - في اعتقاد المؤمن - القدرة المطلقة بأن يعبر بصدق ودقة عن تلکم الظواهر الطبيعية التي خلقها، دون إخلالٍ بالبلاغة (مطابقة الحال)، ولا تقصيرٍ في البديع والبيان (جمالية الأسلوب)، أي - وبما أن الخبر أصل واللفظ تابع - لا يوجد في الكلام الإلهي ضرورة بلاغية تُشوّه بما حقيقة الخبر، إذ "الألفاظ حدّم المعاني والمصرّفة في حكمها ... فمن نصر اللقظ على المعنى كان كمن أزال الشيء عن جهته، وأحاله عن طبيعته"¹⁷ على حدّ تعبير الجرجاني (ت. 471هـ).

في تحقيق البلاغة (مطابقة الحال) يقسم الشاطبي¹⁸ (ت. 790هـ) بين ألفاظ اللغة باعتبار متعلقة دلالتها - ومصنفاً لإمكان ترجمتها - إلى:

- **ألفاظ ذات الدلالة الأصلية:** وذات المعاني المطلقة، وهي حاضرة في جميع الألسن وإليها ينتهي مقاصد الكلام، ويكفي فيها لترجمتها بطريقة صحيحة، البحث عن نظير الكلمة و/أو الأسلوب في لغة الهدف، أي يستعمل فيها طريقة الترجمة الحرفية.

- **ألفاظ ذات الدلالة التابعة:** وذات المعاني المقيدة والخاصة لمقصد المتكلم، وهذه الألفاظ تختلف من لسان لآخر بل قد يختصّ بها بعض اللسان دون الآخر، وهذا القسم تتعدّر فيه الترجمة الحرفية ولو فُعلت لاختلّ المقصد وفسد المعنى، ولا سبيل إلى نقله وتقريبه إلى لغة الهدف إلا عن طريق الترجمة التفسيرية التي ستعتمد بدرجة كاملة على العامل البشري والاجتهاد الذاتي والتكوين المعرفي لدى المترجم (كما سوف نرى في المطلبين القادمين).

إذا أسقطنا تقسيم الشاطبي (ت. 790هـ) على تعريف الترجمة السابق الذكر، ثم استحضرنّا الخصوصيات القرآن الكريم المتعلقة باللغة المستعملة عموماً، واستحضرنّا - أيضاً - منهج ومقصد القرآن في وصف الظواهر الطبيعية خصوصاً، فإننا نستطيع تقسيم الألفاظ المعرّبة عن الظواهر الطبيعية في القرآن الكريم أيضاً إلى تقسيم الشاطبي وستكون:

- **ألفاظ واضحة، ذات المعنى الواحد (بوضعها وفي سياقها):** كلفظة الأرض والسماء والشمس والقمر والبروج والجبال والماء وغيرها التي يمكن إيجاد لها مقابل في لغة الهدف وترجمتها بسهولة إلى (le soleil, la lune, les La terre, le(s) ciel(ieux), constellations, les montagnes, l'eau، وهذه الألفاظ وأمثالها هي التي استبعد موريس بوكاي (ت. 1998م) تعدّر ترجمتها وحمل الخطأ فيها على التعمد.

- **ألفاظ دقيقة، ذات المعاني تابعة (بوضعها وفي سياقها):** تجعل وصف الظاهرة الطبيعية في القرآن الكريم دقيق في مطابقته للواقع، كلفظة العلق، والمضغة، والفتق والرتق، والطارق، والخنس والكنس، وغيرها؛ وهذه الألفاظ تحتاج إلى ترجمة تفسيرية تقريبية للتفاوت الحاصل بين اللغة الأصلية (العربية) ولغة الهدف على مستوى الدلالي؛ في الوقت نفسه الذي تحتاج فيه إلى المحافظة على أقصى الدلالات التابعة له (كما وكيفاً)، والتي تتوقف عليها الدقة الوصفية؛ وهذا الذي استصعبه بوكاي في بعض المواطن، - وهو كذلك -، والذي ألجأه في بعض الأحيان إلى ترجمة اللفظة بجملة كاملة لعدم وجود نظيرتها التي تفي ببعض دلالاتها في لغة الهدف (كما فعل مع لفظة علق/علقة)، ولأن كان الخطأ في ترجمة الألفاظ الواضحة يبعث على الشكّ في نية المترجم وأمانته، فإن الخطأ في ترجمة هذه

¹⁷ الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 8.

Al Jurjani Asrar al Balaghah

¹⁸ الشاطبي، الموافقات، ج 2/ص 105، Alshbti, Al Muwafiqat.

الألفاظ المعقدة قد يقع فيه الجميع؛ المحايد والموافق والمخالف، ومتحري الأمانة ومتقصداً للحيانة على السواء. ولنضرب مثلاً لكل نوع من الألفاظ:

– ألفاظ واضحة، ذات المعنى الواحد: لفظة "البروج":

سميت سورة كاملة بلفظة "البروج" (القرآن.85)، و تكررت هذه اللفظة في القرآن الكريم أربع مرات، في: سورة البروج، "وَالسَّمَاءِ دَاتِ الْبُرُوجِ" (القرآن.85: 1)، سورة الحجر، "وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا" (القرآن.15: 16)، سورة الفرقان، "تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا" (القرآن.25: 61)، سورة النساء، "أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ" (القرآن.4: 78)، وأما مادة: ب ر ج، فإنها ترجع إلى أصلين، الظهور والملجأ، ومنه سميت القصور والحصون بالبروج¹⁹، باعتبارها ملجأً من الأخطار، وهذا هو المعنى في موضع سورة النساء (القرآن.4)، أما معناها في المواضع الأخرى فهي: كواكب السماء العظيمة، أو منازلها وأفلاكها وهذا قول عامة المفسرين²⁰، وقيل بمعنى القصور والحصون²¹، وبالتنظر إلى العلاقة الظرفية بين لفظي البروج والسماء في المواضع الثلاثة، نستطيع الجزم بترجيح الرأي الأول، وشذوذ الرأي الثاني، خاصة إذا رجعنا إلى الحقائق العلمية المرصودة؛ ولقد استقر عند العرب بالوضع وبالمعنى الأصلي تسميت تلك المجموعات النجمية بالبروج، وأن البروج إذا أضيفت إلى السماء يقصد بها هذه الظاهرة الطبيعية المرصودة²²، فلا وجود للمعاني التابعة (بجارية أو كناية أو استعارية لللفظة "برج/بروج")، وهذا ما يتوافق – أيضاً- مع العرف العلمي لدى الفلكيين من قديم، حيث اصطلحوا على أن البروج/constellations هي مجموعات من الأجرام السماوية (نجوم، كواكب، مجرات...)، تُشكّل صُورا، رأي فيها الأوائل (الإغريقيون، الصينيون، العرب...) أشكالاً للحيوانات والشخصيات والأشياء ووضعوا لها أسماء، وأحصوها 88 برجاً، منها 12 منزلاً تنتقل من خلالها الشمس والقمر²³، وبهذا التقرير يتضح أن معنى البروج كان معهوداً عند العرب، وعند مختلف الحضارات وعرف الفلكيين، فلا مكان للتصور الخرافي في وجود منازل وقصور وحصون معلقة ومحروسة في الفضاء الخارجي!! يمكن مشاهدتها بالتلسكوبات أو السفر إليها عبر المركبات!، ذلك التصور الذي قد أملاه المخيال الشعبي البدائي، والذي يظهر أنه قد تسرب شيئاً منه إلى بعض المأثور في التفسير عن طريق الإسرائيليات. من جهة ترجمة لفظة البروج في مواطن: البروج (القرآن.85: 1)، الحجر (القرآن.15: 16)، الفرقان (القرآن.25: 61)²⁴، فقد جاءت على النحو التالي:

¹⁹ ابن فارس، مقاييس اللغة، ص112.

Ibn e Faris Maqayis al Lughah

²⁰ الشوكاني، فتح القدير، ج3/ص155

Al Shaukani, Fath al Qadeer

²¹ ابن كثير، تفسير القرآن، ج2/ص566.

²² ابن منظور، لسان العرب، ج2/ص212، وللاطلاع على بعض ما ذكر في أشعار العرب في العصر الجاهلية من أنواء وأسماء للبروج والتجوم يُرجع إلى: جورجى زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ص14-21.

²³ <https://www.universalis.fr/media/TA070951/>, <https://www.universalis.fr/encyclopedie/zodiaque>

²⁴ موضع سورة الفرقان هو (القرآن.25: 62) في النسخة المترجمة ل: سافاري (ت.1788م)، كازيمسكي (ت.1887م)، ريجيس بلاشير (ت.1973م)، حميد الله (ت.2002م).

الترجمة	موضع الترجمة	المترجم
Signes célestes	البروج	سافاري (ت.1788م)
Signes	الحجر	
Les signes du zodiaque	الفرقان	
Signes célestes/Douze signes du zodiaque	البروج	كازيميرسكي (ت.1877م)
Les signes du zodiaque	الحجر، الفرقان	
Constellations	كل المواضع	ريجيس بلاشير (ت.1973م)
		دنيس ماسون (ت.1994م)
		حميد الله (ت.2002م)
		مجمع الملك فهد لطباعة المصحف
Châteaux	كل المواضع	جاك بيرك (ت.1995م)
Les signes du zodiaque	كل المواضع	صلاح الدين كشريد (ت.2012م)
Les Constellations zodiacales	سورة البروج	عبد الله بونوه (و.1954م)
Les tours zodiacales	الحجر	
Constellations	الفرقان	

الجدول (1)

ذهب جلّ المترجمين المتأخرين -الجدول (1)- إلى أن لفظة البروج في المواطن التي تنسب إلى السماء يقابلها لفظة constellations، وترجمها الأوائل إلى signes célestes أو signes du zodiaques، وهذه التراجم مقبولة لتطابق أصل معنى اللفظة والمقصود بهما في اللغتين (لغة الأصل ولغة الهدف)، إلا أن ترجمة جاك بيرك (ت.1995م) هي التي تثير التساؤل حيث ترجمها بـ châteaux مختاراً للقول الشاذ عند المفسرين، والمخالف للمعقول والمرصود والمشاهد؛ وقد علل اختياره على هامش ترجمته لآية الحجر (القرآن.15: 16) بالحفاظ على المعنى "المجازي" والذي يتوافق مع سياق الآية "... وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاطِرِينَ"، وهذا التعليل غير مؤفق كون البروج لفظ لغوي دال بالوضع على منازل/مجموعة النجوم كما مر بيانه، فلا يتضمن المعنى المجازي، خاصة وأن الكلمة المقابلة لـ châteaux باللغة العربية هي "القصور"؛ وحتى لو قلنا بالمجاز، فإن قرينة الظرفية أظهر دلالة -مقارنة بقرينة السياق- لصرف المراد بالبروج إلى مجموعة النجوم كونها في السماء لا إلى القصور، ولذلك نتساءل عن اعتماده لنفس الترجمة في آيتي الفرقان والبروج مع غياب سياق لفظة "زينها" في هذين الموضعين؟، وما يزيد من غرابة ترجمته، تعليق آخر له على هامش ترجمة سورة البروج حيث ينقل الترجمة الصحيحة بأسلوب الترميض: «*probablement constellations du zodiaques*» وكأن هذه هي الترجمة المرجوحة!

نفس التعقيب على عبد الله بنونو (و.1954م) في ترجمته للفظه البروج في آية الحجر (القرآن، 15: 16) بـ les tours zodiacales، والتي توحى - كترجمة جاك بيرك (ت.1995م) السابقة- أن القرآن الكريم يأتي بما تحيله العقول والعلم الحديث، إلا أنه وبالتنظر إلى ترجماته الصحيحة لنفس اللفظة في المواضع الأخرى، يمكن حمل خطأه على صوابه، واعتبار خطأه مجرد "زلة مترجم".

- ألفاظ دقيقة، ذات المعاني تابعة: لفظة "علق/العلقة":

سُميت سورة كاملة بلفظة "العلق" (القرآن.96)، كما تكرر استعمالها ست مرات في القرآن الكريم، في: سور الحج: "فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ" (القرآن.22: 5)، المؤمنون: "ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا" (القرآن.23: 14)، غافر: "وَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ" (القرآن.40: 67)، القيامة: "ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى" (القرآن.75: 38)، العلق: "خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ" (القرآن.96: 2).

يرجع معنى لفظ علق/علقة إلى أصل واحد وهو إناطة الشيء بالشيء، نقول: علق بالشيء أي لزمه، ثم لما كان الدم الجامد يعلق بالثوب واليد سمي بالعلق والجزء منه العلق، وفي نفس المعنى التعلق سميت أيضا دويبة الماء بالعلقة²⁵.

وفي ظل عدم وجود التفسير النبوي للفظه علق/العلقة على المستوى المعنى، ورغم ورودها في أحاديث كثيرة، وفي غياب أدوات الرصد والكشف الطبي آنذاك، اعتمد المفسرون الأوائل على أحد الدلالات التابعة للفظه علق/علقة في شرحهم وهي اللصوق والالتزام، لكن حاولوا ربط ذلك بالمعقول لديهم ولاحظوا علاقة الحمل بانقطاع الطمث، كما عاينوا السقط المتقدم بما يشبه كتلة دم متخثرة، فأصبح المعنى المراد عندهم بـ علق/علقة هو الدم، ثم اختلفوا في وصفه بالجامد أو العبيط أو الطري أو شديد الحرارة²⁶ وبهذا قد ابتعد المفسرون عن المعنى التابع للفظه علق/علقة المتمثل في اللصوق والالتزام، إلى معنى مؤلّد من أحد الأوصاف القائمة بالدم.

وعند التدقيق في كل المعاني التابعة للفظه علق/علقة، نجد أنها ترجع في الحقيقة إلى ثلاثة، وهي: **التعلق والالتزام بالشيء** كالدّم الجامد²⁷ (وليست هي بدم جامد حقيقة)، التشبه **بشكل دويبة الماء «Sangsue»**، والتي تسلك في طريقة غذائها مسلك **الامتصاص**؛ هذه المعاني التابعة الثلاثة تضيف الدقة في وصف الجنين حالة تكونه في مرحلته الأولى، والمطابقة التامة للأمبريولوجيا الحديثة، فضلا عن ألا تعارض بين القرآن والعلم بهذه المعاني. بالنظر إلى ازدحام هذه المعاني في لفظة واحدة فإن صعوبة ترجمتها كان أمرا متوقعا، حيث جاءت محاولات ترجمة علق/علقة (الحج (القرآن.22: 5)، المؤمنون، (القرآن.23: 14)، القيامة (القرآن.75: 38)، العلق (القرآن.96: 2)، غافر (القرآن.40: 67)²⁸ على النحو التالي:

المترجم	موضع الترجمة	النص المترجم
---------	--------------	--------------

²⁵ ابن فارس، مقاييس اللغة، ص670.

Ibnr Faris Maqayis al Lughah

²⁶ الشوكاني، فتح القدير، ج3/ص543

Al Shaokani, Fath al Qadir

²⁷ ولذلك جاء عن مقاتل بن سليمان تفسير "علقة" بأنها "مثل الدم"، انظر تفسير مقاتل، ج3/ص115.

Tafseer Muqatal

²⁸ موضع غافر هو (القرآن.40: 69) في النسخة المترجمة ل: سافاري (ت.1788م)، كازيرسكي (ت.1887م)، ريجيس بلاشير (ت.1973م)، حميد

الله (ت.2002م).

Sang congelé	الحج، غافر	سافاري (ت.1788م)	
	المؤمنون		
Un peu de sang	القيامة		
Union des sexes	العلق		
Grumeau de sang	الحج، القيامة		كازيمرسكي (ت.1877م)
Grumeau de sang coagulé	غافر		
Sang coagulé	العلق		
Caillot de sang	كل المواضيع	دنييس ماسون (ت.1994م)	
		حميد الله (ت.2002م)	
Adhérence	الحج، المؤمنون، غافر، العلق	ريجيس بلاشير (ت.1973م)	
Goutte coagulé	القيامة		
Adhérence	كل المواضيع	مجمع الملك فهد لطباعة المصحف	
Embryon	الحج	أندريه شوراكي (ت.2007م)	
لم يترجمها	غافر		
Une goutte	القيامة، العلق		
Sorte de sangsue	الحج، المؤمنون	صلاح الدين كشريد (ت.2012م)	
Une masse accrochée	غافر، القيامة		
Adhérence	العلق		
Accrochement	الحج، غافر، العلق	جاك بيرك (ت.1995م)	
Adhérence	مؤمنون، القيامة		
Adhérence	كل المواضيع	عبد الله بونوه (و.1954م)	

الجدول (2)

من خلال الجدول (2)، يمكن الملاحظة أن المترجمين الأوائل قد اعتمدوا على التفسير المأثور في ترجمة علق/علق، وفي نهاية الأمر قد ترجموا حرفياً آراء المفسرين وليس المعنى اللغوي الأصلي المراد في القرآن، وهذا ما تبّه عليه كلٌّ من ريجيس بلاشير (ت.1973م) وجاك بيرك (ت.1995م) على هامش ترجمتهما لسورة العلق (القرآن.96: 2)، وهما محققان إذ لم يرجع أولئك المترجمون لا إلى اشتقاق اللفظة، ولا إلى اعتبار المعاني التابعة لها الأخرى.

نلاحظ -أيضا من الجدول 2- أن سفاري (ت.1788م) قدّم -تقريبا- ترجمة مختلفة لكل موضع؛ ما يوحي بالصعوبة التي عاناها لترجمة هذه اللفظة بالذات، بل تُعدّ بعض ترجماته لهذه اللفظة من أغرب الترجمات، حين جعل أصل الخلق هو *Un peu de sang* = القليل من الدم!، كما ترجم عنوان سورة العلق بسورة *Union des sexes* = اتحاد الجنسين!؛ وأما بالنسبة للمترجمين الذي ترجموا لفظة علق/علقة بـ: *Grumeau de sang, Caillot de sang, Sang congelé, Sang coagulé, Un peu de sang, Goutte coagulé*، فقد جعلوا القرآن معارضا للحقيقة العلمية، حيث أن المشاهدة المجهرية الحديثة لمراحل تطور الجنين لا تثبت وجوداً لمرحلة يكون فيها الجنين دما متجمدا أو طريا أو عبيطا!، بل تقرر الأُمريولوجيا الحديثة بأنّ مراحل الأولى لتكون الجنين تبدأ بتشكّل مجموعة من خلايا جذعية جنينية من بويضة ملقحة (مرحلة التطفة)، لتشكّل في المرحلة الثانية (مرحلة العلق) كتلة خلوية كالدويذة تغذي بواسطة الأوعية الدم²⁹، ولكنها ليست أبدا بدم أو القليل منه أو حالة من حالاته!³⁰، ولعل ترجمة كشريد (ت.2012م) بعبارة: كالدويذة "sorte de sangsue"، تجسّد ذلك المعنى التابع لللفظة علق/علقة الموافق للمشاهدات المجهرية، ولا وجه لاعتراض الباحثة كريمة اليحيوي³¹ عليه، بكون الشكل وحده ليس مسوّغاً لمثل هذه الترجمة!، إذ يكفي الترجمة صواباً -أو قراباً منه- أن المترجم قد اكتفى بأحد المعاني الصحيحة المرادة من السياق القرآني والوضع اللغوي الأصلي، ثم في تعليق المترجم -وهو الصيدلي والبيولوجي في تكوينه المعربي الأصلي- على هامش ترجمته آية الحج (القرآن.22: 5)، يبيّن أنه لم يعتمد فقط على الشكل في اختياره، بل علّله بأن حيوان الدويذة *sangsue* يناسب -أيضا- طريقة تغذية الجنين في مراحله الأولى عن طريق المصّ، مع الحفاظ على معنى التعلّق أيضا، فهنا قد ضمّن كشريد معنيين في ترجمته، مع الملاحظة أنه عبّر بـ *sorte* أي مثل، ولم يجزم بالمقابلة اللفظية؛ أما الدقّة في ترجمة لفظة علق/علقة فلم نقف -على حد اطلاعنا- على ترجمة توفّقها حقّها، لتعدد المعاني المضمتة في اللفظة، ولعلها من الألفاظ التي لا وجود لمقابل مطابق لها من كل الوجوه في لغة الهدف. هذا التعقيد في اللفظة الواحدة وتعدد معانيها وتلازمها، جعل أكثر المترجمين يعلقون عليها في هوامش ترجماتهم بما يزيد على مجرد الترجمة، من اقتراحات مصطلحية وتوضيحات وتعقيبات وشروحات، وسنعلّق على باقي الترجمات لهذه اللفظة في المطلب الموالي لتعلقها أيضا بالإشكالية التكوينية المعربي لدى المترجم.

المطلب الثاني: السبب الإبيستيمولوجي وراء الترجمة الخاطئة لمعاني آيات الكونيات والطبيعيات:

قد ذكرنا أن الترجمة عملية تعتمد كمرحلة أولى على فهم معاني الألفاظ الأصلية والتابعة في لغتها الأم، فإن الترجمة هي الفهم بذاته، "traduire c'est comprendre" على حد تعبير اللساني الترجماتي الناقد *george steiner*³² (ت.2020م)، وإنّ اعتماد المعنى كمنطلق للترجمة هي في العمق عملية تفسيرية/تأويلية قبلية، أو هي -بتعبير آخر- قراءة من المترجم بلغته الداخلية/العقلية/المجرّدة قبل ترجمته، ما تجعله يلبس ثوب المفسّر/المؤوّل رغما عنه، بل -وبنظرة مقابلة- يعتبر المفسّر والمؤوّل في حدّ ذاته مترجما، حيث يعيد صياغة النص الغير المفهوم بنص مفهوم لكن في نفس اللغة، وهذا ما يصطلح عليه بالترجمة الداخلية؛ وعليه فإن التفسير (الترجمة الداخلية) والترجمة (الترجمة الخارجية) يشتركان في نفس التحديّ اللساني/المعربي، و "هو تصوّر المعنى الواحد بين عبارتين [حيث أن] اختلاف

²⁹ <https://www.universalis.fr/media/DE070043/>

La bible le coran et la science, p210. ³⁰ Bucaille,

³¹ اليحيوي، "ترجمات معاني بعض الآيات الكونية في القرآن الكريم"، ص134-150، ص141.

Al Yahyawi, Tarjamat ba 'ad al ayat al Kauniyyah fi al Quran al Karim

³² Ricoeur, Sur la traduction, p16.

الدالّ شرط ضروري في الترجمة الداخلية فضلا عنه في الترجمة الخارجية³³، وعليه يمكن القول بأن كل مترجم مفسر وكل مفسر مترجم بشكل افتراضي وبطريقة ما؛ وهذا ما تؤكده المعاجم العربية القديمة في شرحها للفظه ترجم/ترجمان، بتفسير/مفسر³⁴، كما تؤكد ذلك - أيضا- المراجع التراثية الدينية (التفسيرية)؛ فتلقب ابن مسعود (ت.32هـ) لابن عباس (ت.68هـ) بترجمان القرآن -وهو المعروف بإمام المفسرين-³⁵، رغم عدم ترجمته لآية واحدة -فيما بلغنا في التراث-، كافٍ في وضع علاقة الترادف بين اصطلاحى التفسير والترجمة عند الأوائل، ولعله ومن منطلق هذه الترادفية، عنون بعض المترجمين لترجماتهم بـ *interprétation* مكان *traduction* على غرار D.Masson (ت.1994م)، وصلاح الدين كشريد (ت.2012م).

أما من فرق بين التفسير والترجمة³⁶ -وهو قول أغلب الباحثين- فإن الظاهر أنها فروق صورية/إجرائية، بالنظر إلى اختلاف النتاج النهائي بين المفسر والمترجم؛ سواء على اللغة المستعملة في عمليتي التفسير والترجمة (الحفاظ على نفس اللغة في التفسير واستعمال لغة مغايرة في الترجمة)، أم في إلزامية الأخذ بذلك النتاج (التفسير لا يؤخذ على وجه الإلزام لأنه اجتهاد بشر أما الترجمة فيلزم الأخذ بها لأنها تعبير عن القرآن بلغة أخرى!!)³⁷.

نبني على ما سبق تقريره أن دور المترجم -على الأقل- في مرحلته الأولى هو نفسه دور المفسر، وبالنظر إلى موضوع الآيات التي سيجريها (آيات الكونيات والطبيعيات)، فإنه -منهجيا- سيطلب -زيادة على ما يطالب به المفسر من العلوم الدينية واللغوية المساعدة-³⁸ بتحقيق مجالين مهمين:

المجال الترجماتي: ويكون في إحكام اللغتين (الأم/الهدف) على المستوى المعجمي والأسلوبي، وإتقان فنون الترجمة، والمخارج المختلفة لتجاوز مصاعب الترجمة وغيرها، وهذا المجال مما يشترط للمترجم في جميع موضوعات القرآن الكريم، بل وفي أي موضوع كان، وقد رأينا جانبا مقتضيا منه، والذي يتعلق بالألفاظ ذات الدلالات الأصلية والتابعة في المطلب السابق.

المجال المعرفي: ويكون بتحصيل المترجم القدر الأدني والكافي للتصور الصحيح والمطابق لواقع الظاهرة الطبيعية الواردة في الآية المراد ترجمتها، وهذا البعد المعرفي يشترط إدراكه -قبل عمليتي التفسير والترجمة- لإدراك معاني آيات الكونيات والطبيعيات، تماما كما يشترط

³³ المرزوقي، أشياء من النقد والترجمة، ص147.

Al Marzoqi, Ashya min al Naqd wa al Tarjamah

³⁴ انظر على سبيل المثال، ابن منظور، لسان العرب، ج12/229.

Ibn e Manzur, lisan al 'Arab

³⁵ الذهبي، التفسير والمفسرون، ج1/61.

Al Zahabi, Al Tafseer wa al Mufasssirun

³⁶ البوشيكخي، "نقل معاني القرآن إلى لغة أخرى بين الترجمة والتفسير"، ص29.

Al Boshikhi, Naql Ma 'ani al Quran ila lughatin Ukhra

³⁷ ولذلك قد نبّهت اللّجنة العلمية للندوة (على هامش المرجع السابق، ص29) بأن "الوجه الثلاثة المذكورة [عند الباحث] لا تعد فروقا بين التفسير

والترجمة، بل كل منهما له فيها نصيب".

³⁸ للاطلاع على العلوم الدينية واللغوية المطلوبة من المفسر يرجع إلى: الذهبي، التفسير والمفسرون، ج1/229.

Al Dhahabi, Al Tafsir wa al Mufasssirun

إدراك البعد العربي لإدراك معاني آيات الآداب والمعاملات، والبعد التاريخي لإدراك معاني آيات الأحداث والوقائع، والبعد الشرعي لإدراك آيات الأحكام والعبادات، وهكذا فإن لكل موضوع من الموضوعات القرآنية بُعداً و"سياق" يشترط استحضاره بما يوافق طبيعة مضمونه من أجل ضمان حمل المعنى على المعهود الخاص به.

يقترّر موريس بوكاي (ت1998م) إلى أن الرصيد المعرفي "كسباً وتحييناً" في مجال العلوم الطبيعية والكونية مشروط لدى المترجم قبل الإقدام على ترجمة الآيات التي تحمل في طياتها الظواهر الطبيعية، حيث أن الإخلال بهذا الشرط -بحسبه- سيُلبسها تهمة التعارض بالحقائق العلمية بقصد أو دون قصد³⁹ وسيستلب القرآن الموثوقية والمصدقية بالتبع، ويمكن ردّ هذا الإخلال إلى ثلاثة مداخل:

- اعتماد المترجم على الموروث التفسيري كواسطة لنقل المعنى فيسحب الخطأ المعرفي الذي وقع فيه المفسرون الأوائل -وهو كثير بالنظر إلى الحالة المعرفية البدائية في وقتهم- ليبنى عليه ترجمته.

- اعتماد المترجم على الثقافة العلمية السائدة وقت ترجمته والتي قد تكون صحيحة في وقتها، قبل أن تُحجّن بدراسات علمية فيما بعد تنسخها وتُخطئها.

- اعتماد المترجم على ثقافته العلمية الذاتية دون تحجّر، والتي قد تكون ناقصة أو مخالفة حتى لو كانت الحقيقة العلمية السائدة في وقته صحيحة.

سنعتمد في التمثيل لمداخل الخطأ العلمي/المعرفي لدى المترجمين بآخر مثال تطرّقنا إليه في المطلب السابق، حيث أن المتأمل في خطأ ترجمة لفظة العلق/علقة يجد اجتماع المداخل الثلاثة المتعلقة بالسبب الإبيستيمولوجي في محلّ واحد، والملاحظ في الجدول (2)، أننا كلما رجعنا بها إلى الوراء وإلى تصورات المترجمين البدائية، كلما كانت أكثر مخالفة للحقيقة العلمية، حيث أن ترجمة لفظة علق/علقة إلى، *coagulé, un peu de sang, du sang congelé, caillot de sang grumeau de sang, sang coagulé*، تجعلنا نرجح أنهم اعتمدوا إما على الثقافة العلمية السائدة لديهم⁴⁰ أم على تفسير الأوائل للفظه/علقة بالدم أو أحد حالاته⁴¹، وهذا المدخلان الأولان.

نلاحظ بالمقابل من الجدول 2، أن الترجمات الحديثة للفظه/علقة هي الأكثر موافقة ومطابقة للعلم الحديث، حيث تُرجمه إلى *Aderence, Acrochement, Sorte de sangsue*، باستثناء ترجمة شورايكي (ت.2007م) الذي اضطرب في ترجمتها مرة ب *embryon*، وهي صفة للجنين تأتي قبل العلق (*Morula*)، وهذا خطأ معرفي، ومرة ب *une goutte* بمعنى "القطرة"! ومرة تجاوزها بالكلية ولم يترجمها، وكل هذه الترجمات تعكس -في الحقيقة- المستوى المعرفي المتواضع لدى المترجم، رغم معاصرته للاكتشافات العلمية الحديثة في علم الأجنة (الأمريولوجيا)، وهذا هو المدخل الثالث.

من جهة أخرى، اقترح موريس بوكاي (ت.1998م)، وهو الطبيب ذو التكوين العلمي والنظرة التخصصية، والذي تعلّم اللغة العربية وأدرك المعنى التابع للفظه/العلق، قلت، اقترح بأن يترجم هذه اللفظة ب *quelque chose qui s'accroche*، بعدما انتقد

Réflexions sur le coran, p231. talbi, ³⁹ Bucaille,

⁴⁰ حيث لم يتم الجزم علمياً بتطور الجنين لدى الثدييات من بويضة ملقحة إلا سنة 1882 م على يد الأمريولوجي الروسي إيرنست فون بيبير، ولنا أن تصور الوقت الذي استغرقه انتشار المعلومة آنذاك،

[/https://www.universalis.fr/encyclopedie/karl-ernst-von-baer](https://www.universalis.fr/encyclopedie/karl-ernst-von-baer)

⁴¹ يُرجع إلى المطلب السابق في نقل تفسير السلف للفظه/علقة.

ترجمة ريجيس بلاشير (ت.1973م) لها إلى ⁴² s'accrocher, adhérence؛ ورغم أن ترجمة هذا الأخير-وكذا ترجمة جاك بيرك (ت.1995م)- لم تعارض الحقيقة العلمية كما حصل ذلك بالترجمات الأخرى، إلا أنّ بوكاي (ت.1998م) يصرح ويلجّ على أنّ في دقة الوصف والمحافظة على المعنى التابع للفظه/علق/علقة عند ترجمتها، هو أكثر من مجرد إثبات عدم التعارض بالحقيقة العلمية، بل يرى بأنه سبق علمي في القرآن الكريم يدل على رابانية مصدره ⁴³، تماما كما قام به كشريد (ت.2012م) لما ترجمها إلى *une sorte de sangsue*.

نفس الملاحظ حول انعكاس الثقافة العلمية الضعيفة على الخطأ في الترجمة، نلمسه عند تعليق المستشرقة المعاصرة جاكلين شابي (و.1943م) على هامش ترجمة كازيميرسكي (ت.1877م) في آية سورة الزمر، "يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ" (القرآن.39: 8)، حيث قالت عن الظلمات الثلاث: « les entrailles, l'estomac, et la membrane qui enveloppe le fœtus » ⁴⁴ « trois ténèbres ou triples ténèbres »، والملاحظ أن ترجمة الجمهور لم تضع القرآن كالمعارض للحقيقة العلمية، عكس تعليق جاكلين السابق؛ ووجه الخطأ المعرفي فيها، هو انفكاك الجهاز التناسلي عند المرأة (الرحم = utérus = matrice) عن الجهاز الهضمي (المعدة = l'estomac)، وهذه المعلومة تعدّ من أبجديات علم التشريح!، بل تعد من الثقافة العامة لدى عامة الناس منذ القديم! فكيف غفلت عن ذلك؟ في المقابل، نجد أنّ تعليق ترجمة مجمع ملك فهد للقرآن أكثر دقة وانسجاما مع واقع الظاهرة الطبيعية، حيث همّشوا عند ترجمة الآية بـ «le ventre, la matrice, et le placenta».

لنضرب مثلا آخر، نوضح به أكثر إشكالية أثر التكوين المعرفي لدى المترجم على الترجمة الخاطئة، عند ترجمة قوله تعالى: "إِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ" (القرآن.16: 66) ⁴⁵، وقبل سرد التراجم يحسن بنا أن نقف على الواقع العلمي لتكون الحليب عند الثدييات ثم نقارن بما جاء في المأثور من التفسير ثم الترجمات. يتشكّل الحليب عند الثدييات في الغدة الثديية، ويستمد المواد الأولية عبر الأوعية الدموية/اللمفاوية من مدخل/أعلى الأمعاء الذي يحتوي على الفرث، وهو الأكل المتقدّم في عملية الهضم، أي قد تجزء إلى المكونات الغذائية الأولية (سكريات بسيطة، بروتينات ودهن) مع التأكيد على أن هذا الأكل المهضوم (الفرث) لم يتحول بعد إلى فضلات (الروث) ⁴⁶. أما المفسرون ⁴⁷ فالظاهر أنهم اعتمدوا كلهم على تأويل ابن عباس (ت.68هـ) لطريقة تشكل اللبن، والذي يظهر أنه بدوره قد فهمها من مدلول الآية "الظني" كمصدر معرفي وحيد عنده، وتوصّل إلى أن الدّم واللبن يتكونان كليهما في المعدة (الكرش بتعبيره) مع

Talbi, Réflexions sur le coran, p234. ⁴² Bucaille,

p206-207 La bible le coran et la science, ⁴³ Bucaille,

⁴⁴ وقع الاتفاق بين المترجمين المثبتة ترجماتهم في قائمة المصادر والمراجع، يمكن الرجوع إليها.

⁴⁵ (القرآن.16: 68) في النسخة المترجمة ل: سافاري (ت.1788م)، كازيميرسكي (ت.1887م)، ريجيس بلاشير (ت.1973م)، حميد الله (ت.2002م).

⁴⁶ عامري، العلم وحقائقه، ص552-553. يرجع أيضا إلى: =

[secretion/#V130421A https://www.universalis.fr/encyclopedie/lait/1-le-lait-produit-de-](https://www.universalis.fr/encyclopedie/lait/1-le-lait-produit-de-secretion/#V130421A)

⁴⁷ الطيار، المدخل إلى موسوعة التفسير المأثور، ج580/12.

تواجد الفرث، وأن استخراج اللبن من خلال ذلك الخليط هو قوله تعالى "من بين فرث ودم"، وهذا خطأ معرفي يعذر فيه ابن عباس (ت.68هـ) بالنظر إلى عدم تفصيل القرآن الكريم لعملية تصنيع الحليب بطريقة صريحة⁴⁸، ولعدم توفر المعلومة وقتئذ. بالرجوع إلى ترجمات هذه الآية فقد جاءت الترجمات على النحو التالي:

الترجمة	المترجم
Les animaux vous offrent des exemples propres à vous instruire : leur lait élaboré dans l'estomac , entre le chyle et le sang, devient pour vous une boisson salubre.	سافاري (ت.1788م)
Nous vous faisons boire ce qui, dans leurs entrailles, est entre les aliments élaboré et le sang : c'est le lait pur, d'une absorption si douce pour ceux qui le boivent.	كازيميرسكي (ت.1877م)
En vérité, vous avez certes un enseignement dan vous troupeaux ('an'àm) ! nous vous abreuvons d'un lait pur, exquis pour les buveurs, (venant) de se qui, dans leurs ventres, est entre un aliment digéré et du sang.	رجيس بلاشير (ت.1973م)
Vous trouverez un enseignement dans vos troupeaux. Nous vous abreuvons de ce qui, dans leurs entrailles, tient le milieu entre le chyme et le sang : un lait pur, délicieux à boire.	دنيس ماسون (ت.1994م)
Assurément réside une leçon pour vous dans les bêtes de troupeau. Nous vous abreuvons de ce qui dans leur ventre fait transition entre sang et chyme , un lait pur si doux à passer pour qui en boit	جاك بيرك (ت.1995م)
Il y a certes un enseignement pour vous dans les bestiaux : nous vous abreuvons de ce qui est dans leur (un produit) extrait du (mélange) des ventre, - excréments (intestinaux) et du sang- un lait pur, délicieux pour les buveurs	حميد الله (ت.2002م)
	مجمع الملك فهد نفس ترجمة حميد الله
Les troupeaux ont pour vous un enseignement : nous vous abreuvons de ce qui, dans leur ventre, entre chyle et sang, est du lait pur, exquis pour les buveurs.	أندرية شورافي (ت.2007م)
Vous avez assurément dans les troupeaux un exemple à méditer. Nous vous abreuvons de ce qui est dans leur ventre, entre des excréments intestinaux et du sang. Un lait pur que les buveurs avalent avec facilité et délice	صلاح الدين كرشيد (ت.2012م)

⁴⁸ وقد مر بيان منهج ومقصد القرآن في اجتنابه التفصيل والشرح عند سرده للظواهر الطبيعية في البحث السابق.

Vous avez dans le bétail matière à réflexion : de ce que contiennent leur entrailles Nous vous désaltérons d'un lait pur et agréable à boire (quoiqu'il soit) **situé entre le sang et les déjections.**

عبد الله بنونوه (و. 1954م)

الجدول (3)

بناء على ما سبق فإن من الخطأ المعربي تصوّر موضع تصنيع الحليب عند الثدييات هي المعدة «estomac»، كما نصّ عليه سافاري (ت. 1788م) من خلال ترجمته، وقد يكون سبب ذلك تكونه المعربي المتواضع، كما أن احتمالية اعتماده على تفسير ابن عباس (ت. 68هـ) قائمة.

أما الخطأ المعربي الثاني فهو تصور مصدر تصنيع الحليب هو الفضلات (الفرث) «excréments»، وهذا قد وقع فيه صراحة حميد الله (ت. 2002م) ونقله عنه مجمع الملك فهد حرفياً، ولعل سبب ذلك أيضاً هنا إما ضعف التكوين المعربي لدى المترجم أو اعتماده على التفسير بالمأثور، وقد يضاف إلى سبب الخطأ تشابه لفظي الفرث والروث وتقارب مخرجهما، فأخذت الأولى معنى الثانية. في حين قد علل كشريد (ت. 2012م) اختياره للفظة ⁴⁹ excréments على حساب لفظي chyme, chyle ⁵⁰ والتي تعتبران الأصح في نظرنا، ليظهر فضل الله وقدرته من خلال استخراجه لشراب نظيف سائغ من مظنة النجاسة والرائحة والطعم الكريه، ثم يستدل -كشريد- لذلك بختام الآية على ترجيحه، ما جعله يبرز اختياره -في الهامش- بشرح الفرث على أنه الروث (الفضلات) ما دامت في الأمعاء، ورغم أنه استدلل بما جاء عن ابن منظور (ت. 711هـ) من أن الفرث هو السرجين (أي الفضلات) ما دام في الكرش ⁵¹، إلا أن أصل كلمة (فرث) تدلّ على شيء متفتت عند ابن فارس ⁵² (ت. 395هـ)، وهذا المعنى الأخير ألصق بالواقع العلمي، في حين لم يرجع -ابن فارس- مادة كلمة (روث) لأي أصل، بل اكتفى بنسبتها للدواب فقط ⁵³.

نعم، عند التأمل فإن ترجمة كشريد (ت. 2012م) لا تضع معنى الآية موضع التعارض بالعلم الحديث صراحة، كما حصل في ترجمة حميد الله (ت. 2002م)، حيث عبّر كشريد في ترجمته بلفظة «entre»، ما يبقى باب التأويل مفتوحاً لمصدر الحليب بناء على معنى البينية الذي هو غير المصدرية، أما حميد الله (ت. 2002م) فقد ترجمها بـ «extrait du (mélange) des excréments et du sang» (intestinaux) مما يفهم صراحة بأن مصدر الحليب هو الفضلات بذاتها، وهذا خطأ معربي صريح بلا شك. ما تعقبناه على ترجمة كشريد (ت. 2012م) يمكن التعقيب به أيضاً على ترجمة عبد الله بنونوه (و. 1954م)، حيث ترجم الفرث بـ

⁴⁹ <https://www.universalis.fr/dictionnaire/excrement/>

⁵⁰ وهما لفظتان بالفرنسية تدلان على الأكل النصف مهضوم وهو تماماً معنى "فرث"،

<https://www.universalis.fr/dictionnaire/chyme>

⁵¹ ابن منظور، لسان العرب، ج 2/176.

Ibn e Manzur, Lisan al 'Arab

⁵² ابن فارس، مقاييس اللغة، ص 815.

Ibn e Faris, Maqayis al Lughah

⁵³ نفس المرجع، ص 408.

⁵⁴ «déjections»، ورغم أنه لم يعلل اختياره ولم يعلق بشيء - كما فعل كشريد- إلا أن عبارته الاعتراضية «quoiqu'il soit...» أي "رغم أنه/مهما يكن..." التي أضافها توحى بنفس الرأي والتعليل.

أما باقي الترجمات فإنها مقبولة إلى حد كبير، ورغم بعض الانتقادات التي أبداها بوكاي (ت.1998م) عليها، إلا أنها لا تخرج في النهاية من كونها نقداً يريد من خلاله تقديم ترجمة يقصد بها إظهار سبق العلمي للقرآن⁵⁵، وهذا خارج عن محلّ إشكال البحث، والذي هو وقوع التعارض بين القرآن والعلم الحديث إثر الترجمة الخاطئة.

المطلب الثالث: الدافع الإيديولوجي وراء الترجمة الخاطئة لمعاني آيات الكونيات والطبيعات:

بعد دراسة سبب الخطأ المتعلق بلغة النص المترجم (السبب الداخلي) في المطلب الأول، وسبب الخطأ المتعلق بالتكوين المعرفي لدى المترجم (السبب الخارجي) في المطلب الثاني، نعالج في هذا المطلب الدافع من الخطأ بناء على تحليل ومقارنة نتائج المطبلين السابقين في سياق تاريخ ظهور ترجمات القرآن وخلفياتها.

تعتبر ترجمة النص الديني عملاً وعاملاً حاسماً في الحفاظ على المعنى المراد من الله من خلال النص الأصلي؛ ولإن كانت الترجمات الخاطئة، التعددة منها والعفوية للقرآن، ستنعكس -حسب بوكاي (ت.1998م)- على الدعوة وانتشار الإسلام في الأوساط الأعجمية، إلا أنه لا أثر لها على النص الأصلي، لبقائه محفوظاً منتشرًا بلغته الأصلية (العربية) إلى اليوم، الأمر الذي قد فُقد بالنسبة للكتاب المقدس من قبل، حيث قد ضاع أصله بين تأخر مراحل تدوينه من جهة، وتقلباته بين الترجمات المتراكمة والمتراكبة من جهة أخرى؛ فمن العبرانية القديمة إلى الآرامية، ثم إلى السريانية، ثم اليونانية، ثم اللاتينية القديمة فالجديدة، ثم إلى اللغات الأوروبية الحديثة⁵⁶، حتى صار يُعتمد على النص المترجم -سواء العهد القديم أو الجديد- كمصدر أصلي؛ وهكذا يظهر أن الترجمة كانت من المداخل الخفية التي بدلت كلمات الكتب المقدسة وزادت أسفاراً بأكملها، كما حرّفت المعنى وحوّرتته بالتبّع.

بمطابقة تواريخ ظهور الترجمات الأولى للقرآن الكريم مع الطّفرات الفكرية والدينية والسياسية والثقافية التي سجلتها أوروبا، نجد تزامناً بين الترجمة الأولى للقرآن وحركة الإصلاح الديني المسيحي التي انطلقت من فرنسا، تلك الحركة الإصلاحية التي تسببت في انفصال الكنيسة اليونانية عن الرومانية؛ ثم تزامنت الترجمة الثانية للقرآن مع نشوء فكر النهضة والحركة البروتستانتية على يد مارتن لوثر (ت.1546)، وجان كالفن (ت.1564)، وبداية عصر العلم التجريبي بصدور أوائل كتب الفلك والتشريح المعتمدة على المنهج العلمي الحديث، ثم وقع تزامنا آخر -أيضاً- بين الترجمة الثالثة للقرآن وتوسّع الفكر النهضوي في أوروبا ثم تحوّل إلى فكر تنويري، ليسير بخطى ثابتة نحو اللادينية في صورة الليبرالية واللائكية، كما تمّ تدشين -في تلك الفترة- أول قسم للدراسات العربية بجامعة كامبريدج وأكسفورد، مع تسجيل -بالتوازي- نشاطاً استعمارياً أوروبياً للدول العربية والإسلامية وصلت إلى الهند.⁵⁷

⁵⁴ <https://www.universalis.fr/dictionnaire/dejection/>

⁵⁵ يرجع إلى مناقشة هذه التراجم إلى

Bucaille, La bible le coran et la science, p196.

⁵⁶ محمود المدرّس، العهد القديم دراسة نقدية، ص42-48.

Mahmud al Mudarras, Al 'Ahda al Qadim Darasah Naqdiyyah

⁵⁷ مُجّد أبوظالب، ملاحظات حول ترجمة القرآن الكريم، ص12-13.

Muhammad Abu Talib, mulahizat Haul Tarjamat al Quran al Karim

هذه التّزامات التاريخية بين ترجمات القرآن الأولى والأحداث الثورية على المستوى الفكري والديني (نقد الكتاب المقدس)⁵⁸ والجيوسياسي (الصراعات والحروب) في أوروبا، قد أثرت بلا شك في طريقة تعامل المستشرقين بعقلياتهم النهضوية /التنويرية /الاستعمارية اتجاه المرجع الديني لدى "الأخر"، والذي كانت به الغلبة والسيادة والسلطة الفكرية/العقدية/الثقافية على المسلمين طيلة مرحلة التوسع والهيمنة الجيوسياسية لديهم، منذ بدايات الفتح إلى قبيل سقوط الدولة العثمانية -بحسب بعض المؤرخين-، حيث إنّ "الطابع الخارق لهذا الكتاب ليس فقط في محتواه العقدي وحقيقته النفسانية والنسكية وسحره الذي يحوّل ويبدّل، وإمّا يظهر كذلك في فعاليته الخارجية وفي معجزة انتشاره"⁵⁹؛ ولذلك كان أول عمل قام به بعض المستشرقين الأوائل، وتبأطير إيديولوجي (استعماري)، لوضع ذلك النص الديني بين يدي "النقد" و"النقض"، هو نقله إلى لغاتهم، إذ تعتبر الترجمة "سلاحٌ معرفيٌّ لمحو الخصم، أو الغلبة عليه، أو لمنعه من الغلبة علينا، أو للحفاظ المجرد على الذات"⁶⁰.

ارتبط الاستشراق إذاً كظاهرة فكرية -منذ البداية- بترجمة القرآن، كآلية لخدمة أهداف ومقاصد تلك الظاهرة، ومن باب الإنصاف، فإن ما قيل في الاستشراق من تباين في الأهداف وتفاوت في المقاصد، من رغبة شديدة للسيطرة الإيديولوجية/الفكرية قبل السيطرة الاستعمارية/المادية، إلى مجرد فضول معرفي أو ميل للدراسة والبحث عن الآخر وثقافته⁶¹، يقال أيضاً هنا في ترجمة القرآن، إذ الغايات تستتبع الوسائل في الغالب، ولما كان من أهداف ومقاصد الاستشراق عند نشأته الأولى -بالخصوص- النقد والنقض، فإننا نجد مصرّحاً به في مقدمات التراجم أو ملحقاتها -فضلاً عن مضامينها- (كالتعريف بشخصية مُحمّد أو السيرة النبوية أو تقديم بمقدمة تعريفية للقرآن)، كما نجد تلميحاً لتلك المواقف، من خلال الإشارات والعبارات "الحمّالة" دون الاصطدام بعقيدة المسلمين، كعنوان المترجم الإنجليزي جورج سيل (ت.1736م)، لترجمته بـ "The alcoran of Mohammed" وكأن مؤلف القرآن هو مُحمّد! أو كتابة سافاري (ت.1788م) على واجهة ترجمته اسم "MAHOMET" فوق لفظة "LE KORAN".

قبل إسقاط الخلفية الإيديولوجية لدى بعض المترجمين على إشكالية هذا البحث، لا بأس بذكر بعض الأمثلة باقتضاب تؤكد دعوى ذاتية ونحياز بعض المترجمين لمعاني القرآن، وحاجتنا لإثبات هذه الدعوى بالأمثلة تكمن في محاولة البعد عن وقوعنا نحن -بحكم انتمائنا- في ذاتية من جانبنا؛ فعلى سبيل المثال، في بعض الترجمات القاديانية/الأحمدية للقرآن الكريم المقدّمة باللغة السواحيلية، قامت بتغيير معنى عبارة "الجهاد في سبيل الله" إلى "الاجتهاد في طاعة الله" لتعزيز الوجود الأوروبي في إفريقيا الشرقية⁶²، كما أنّها وتبغضية مالية

⁵⁸ قد كان من مداخل النقد البروتستانتي للكتب المقدس (بعهديه) التعارض الواقع بينه وبين الواقعي العلمي والتاريخي والجغرافي آنذاك، انظر: حنا جرجس، جون كلفن دراسة تاريخية عقائدية، ص148.

Hana Jarjus, John Calvin ; Darasah Tarikhiyyah Naqdiyyah

⁵⁹ فريتجوف شيون، كيف نفهم الإسلام، ص54.

Fritjof Schuon, Understanding Islam

⁶⁰ المرزوقي وآخرون، الترجمة ونظرياتها، ص24.

Al Marzuqi et al, Al Tarjamah wa Nazriyatuha

⁶¹ السباعي، الاستشراق والمستشرقون، ص20-33.

Al Saba'i Al Istashraq wa Al Mustashriqun

⁶² بيومي، أثر الترجمة في نشر بعض المفاهيم المغلوطة، ص1-62، ص34-36.

بريطانية -آنذاك- قدّمت ترجمة للقرآن إلى اللغة الإنجليزية دعت من خلالها إلى عقائد مخالفة جذريا لعقيدة المسلمين، كإنكار بعض الغيبيات وتأويل معجزات الأنبياء ومخالفة عقيدة ختم النبوة⁶³ كمرحلة تسبق تغيير الشريعة بالكلية، مُحاولَةً تكرار الحدث الذي تغيّر على إثره المسيحية بالاستبقاء الوحي بعد عيسى على يد بولس⁶⁴، بل هناك من المترجمين من أراد تضمين عقيدة بنوة المسيح وأصله الإلهي وتقرير طقس التعميد من خلال الترجمة الخاطئة للفظـة "كلمة الله وروح منه" (القرآن، 3: 171) و"صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة" (القرآن، 1: 138)⁶⁵.

من السياق التاريخي للترجمات القرآن في أوروبا، الأمثلة السابقة ودوافعها نرجع إلى إشكالية بحثنا، وبحسب تعبير مُجّد يسين قصاب فإن وضع القرآن كالمعارض والمناقض للعلم الحديث إثر الترجمة الخاطئة أصبحت ظاهرة، بل و"عادة" عند المترجمين/المستشرقين⁶⁶، وكأنه يلمح إلى تعمد الخطأ مثله مثل بوكاي (ت. 1998م)، لكن، هل يمكننا التأكد من ذلك بعيدا عن التوقّعية وبأكثر واقعية؟ الجواب عن كونها "عادة" هو: نعم، ويمكن التحقق من ذلك بالرجوع إلى الأمثلة السابقة -المذكورة- في هذا البحث، لكن جوابا على سؤال "التعمد"؟ هو: لا يمكن الجزم بذلك مع قيام احتمالياتها -فيما يظهر لنا-، على الأقل فيما يخص الأمثلة السابقة وغيرها⁶⁷؛ أولا، لتعذر الاطلاع على النّيات، وأنّ ذلك مناف للبحث العلمي الرّصين، إلا إذا وقع التّصريح أو تظافرت القرائن، ولم يتحقق شيء من ذلك في دراستنا هذه، ثانيا، لم نجد مثلا صريحا ولا تعليقا أو تهميشا أو نحو ذلك مما يثبت ذلك "التعمد".

بالابتعاد عن المراجع الترجماتية، قد التمسنا ما يثبت "التعمد" بشكل واضح من جانب السّجلات الدينية والفكرية بالخصوص؛ وسنأخذ السّجال المشهور الذي وقع بين الطبيعيين المستشرقين الشهيرين، الفرنسي موريس بوكاي (ت. 1998م)، والأمريكي ويليام كامبيل، حيث أُلّف الأول منهما كتابه الشهير سنة 1976م، بالعنوان الرئيسي: الكتاب المقدّس، القرآن والعلم، La bible le coran et la science متبوعا بعنوان ثانوي توضيحي: الكتابات المقدّسة مختبرة في ضوء المعارف الحديثة، Les écritures saintes examinées à la lumière des connaissances modernes، ليستنتج بعد دراسته الاستقرائية أن القرآن لا يتضمن إطلاقا ما هو متعارض مع المعارف المؤكّدة في الوقت الحاضر، ولا يترك أي مكان للأفكار البدائية للمواضيع المدروسة، « ne contenait assurément aucune proposition en contradiction avec les

⁶³ الهمداني أحمد، ترجمة معاني القرآن الكريم من قبل بعض الفرق الضالة، ص 43-80.

Al Hamdani, Ahmad, Tarjamat Ma 'ani al Quran al Karim min Qibal ba 'ad al Firaq al Daalah, p.43-80

⁶⁴ الحدث المقصود هو فتح النبوة والوحي بعد المسيح استثناء لـ "بولس" اليهودي ثم النصراني عند النصارى، والذي ادعى سماع الإنجيل مرة ثانية من المسيح بعد أن ضاعت ولم تدوّن، وكان له الحزبة التامة في نسبة الأقوال للمسيح زاعما أنها كلمة الله، وقد صدّق وأخذت دعواه على محمل الجدّ من طرف النصارى، وأضيفت رسائله إلى الأناجيل فتكون "العهد الجديد" وكان هذا الحدث هو نقطة انعطاف العقيدة النصرانية. أنظر: بولس والمسيحية، مُجّد أبو الغيط فرت، درا الطباعة المحمدية، مصر، 1980م.

Muhammad Abu al Ghait Fart, Bulas wa al Masihiyah, Dar al Taba 'ah al Muhammadiyah, 1980,

⁶⁵ الهمداني أحمد، ترجمة معاني القرآن الكريم من قبل بعض الفرق الضالة، ص 25-29.

⁶⁶ Kassab, les milles vérités scientifiques du coran, t1/p140

⁶⁷ رجعنا إلى كل المطانّ في القرآن (750 آية تتضمن الظواهر الطبيعية)، وإلى الترجمات المذكورة في قائمة المصادر، بالإضافة إلى النسخة المترجمة

connaissance les mieux établies de notre temps et il ne laissait aucune place aux idées⁶⁸ » de l'époque sur le sujet traité. في الجهة المعاكسة، يردّ وليام كامبل بكتاب ألفه سنة 1989م، بعنوان يحاكي بصيغته عنوان كتاب بوكاي: القرآن والكتاب المقدّس في ضوء التاريخ والعلم، Le coran et la bible a la lumière de l'histoire et de la science، يحاول من خلاله نقد الطرحين الذين قدمهما بوكاي في كتابه والمتمثّلان في: خلو القرآن من الخطأ العلمي، ووجود الخطأ العلمي في الكتاب المقدّس، إلى جانب محور آخر -هو خارج عن إشكالية هذا البحث- يتمثّل في بيان الاختلاف الحقيقي والجذري، وعلى المستوى العاطفي والمعرفي، بين الإسلام والنصرانية⁶⁹.

بنظرة تحليلية إلى ذلك السّجال، وبالوقوف على محور "وقوع الخطأ العلمي في القرآن الكريم" من عدمه في الكتّابين، نجد أنّ إشكالية ترجمة آيات الكونيات والطبيعيّات في مركزية السّجال؛ ففي الوقت الذي يصرّح فيه بوكاي (ت.1998م) بأنّ بعض المترجمين والمفسّرين لبعض المواطن في القرآن، قد يقدّمون للقراء -من علماء الطبيعة- تصوّرا خاطئا تماما للوحي القرآني فيما يخص المواضيع العلمية⁷⁰، يردّ عليه كامبل بتريكية أولئك المترجمين واصفا لهم بأنهم: مترجمون أمناء لا يجهلون العلم، traducteurs honnêtes⁷¹ qui n'ignore pas le science!!؛ وبعد تبرّتهم نقل كامبل الإشكال إلى القرآن نفسه، حيث قال عن تلك الترجمات بأنّها: تعكس المشكلات العلمية الموجودة في الأصل العربي، Elles reflètent les problèmes scientifiques qui se trouvent dans l'original arabe⁷²! ولأنّ سلّمنا جدلاً لتريكيته لهم على مستوى الأمانة التامة (رغم اتفاق منظّرو الترجمة بأنّها خيانة لا بد منها)، ونسلّم له أيضا بسهولة عملية الترجمة وإمكانيتها (رغم اتفاق منظّرو الترجمة -أيضا- على نسبتها وتقريبيتها)، فإنّ تريكيته لهم على المستوى العلمي والمعرفي مبالغ فيها، تُظهر لاموضوعيته في معالجة الإشكال الترجماحي، حيث قد تبّهنا على أثر الرصيد المعرفي لدى المترجم على ترجمة آيات ذات محتوى "علمي"، وقد ظهر أيضا في جداول الترجمة السابقة (الجدول (1)،(2)،(3))، والتي احترمنا فيها التسلسل التاريخي للترجمات، مدى أثر تحيين المعرفة في العلوم الطبيعية على ترجمة تلك الآيات من طرف مترجمين، وحتى لو كانت تلك المعلومات منتشرة وصحيحة في زمن المترجمين -كما يدعي كامبل-⁷³ فمن يضمن لنا تحريهم ووصولهم -هم- لتلك المعلومة عوض انتظارهم وصول المعلومة -بنفسها- إليهم؟، وما ترجمة شوراكي -على سبيل المثال- إلا نموذجاً للمترجم "المتواضع" معرفيا في مجالات العلوم الطبيعية.

كما أن الإشكالية على الصورة التي طرحها كامبل، وهي وقوع التعارض في النص الأصلي وباللغة الأصلية، مخالفة تماما للإشكالية التي عالجها بوكاي، والتي هي وقوع التعارض بين القرآن والعلم بسبب سوء الترجمة، حيث أن حلّ إشكالية كامبل تُبحث في مجال "مشكل القرآن" وهو علم معروف في الدراسات القرآنية له آلياته في رفع المشكل ودفع موهم التعارض، إما بالرجوع إلى طبيعة لغة القرآن التأويلية -بعد التأكيد من صحة المعارض-، أو تفكيك جهة التعارض معجميا أو منهجيا أو مقاصديا، أما إشكالية بوكاي فحلّها في

p3. ⁶⁸ Bucaille, la bible le coran et la science,

⁶⁹ Cambell, le coran et la bible, p12.

⁷⁰ Bucaille, la bible le coran et la science, p200.

⁷¹ Cambell, le coran et la bible, p204.

⁷² Ibidem, p205.

⁷³ Ibidem, p205.

مجال الترجمة وتقنياتها وآدابها، وعليه كان من المنتظر من كامبل أن يناقش بعمق الترجمات التي اقترحها بوكاي، لكنه - في رأينا - قد سَطَّح النقاش على المستوى الترجماتي وبسَّطه ثم نقله خارج محل الإشكال.

بما أننا تطرقنا لترجمة لفظة علق/علقة في المطلبين السابقين، سنجعلها -أيضا- مثلا لهذا المطلب؛ وبالرجوع إلى كتاب كامبل نجدّه يصّر على الأخذ بالتراجم الأولى التي تفسّر العلقه بأنها دم أو حالة من حالاته⁷⁴، تاركا التراجم الحديثة، مثل ترجمة بلاشير والتي - وإن لم تُظهر سبقاً علمياً للقرآن - لا تتعارض مع المعطيات العلمية الحديثة.

لما نخلل، ثم نقابل بوكاي وكامبل كشخصيتين علميتين، نجد أنّهما متقاربان جدّاً في تكوينيهما واهتمامهما بالمعرفة؛ كلاهما مستشرق ذو أصول غير عربية، كلاهما درس العربية كلغة ثانية ولمدة تجعلهما يدركان معنى الألفاظ، وتمكّنهما من اقتراح ترجمات شخصية، كلاهما قد تكوّن على المناهج العلمية الحديثة (طبيين)، وقد تزامنا في نفس العصر، ولهما نفس مصادر المعرفة (نفس الترجمات للقرآن المتداولة، نفس المقررات الطبية)، مع التنبيه على أنّ قضية تحوّل بوكاي إلى الإسلام غير مؤكّدة، بل الأصل عدم إسلامه إلى أن يثبت خلاف ذلك، وهذا يستبعد به الانحياز الديني في بحوثه، أما الثاني فمسيحي مدافع - كما هو معروف -، والنتيجة هو جعل نفس اللفظة علق/علقة الواردة في القرآن محلّ توافق بين العلم الحديث والقرآن الكريم عند بوكاي (بل سبق علمي)، وفي المقابل محلّ تعارض عند كامبل، مع اتفاقهما على أن الجنين لم يمرّ أبداً بمرحلة الدمّ أو إحدى حالاته، ليبقى الإشكال الحقيقي في ترجمة تلك اللفظة حصراً، ولنستنتج دون شكّ بأن دافع كامبل لانتقاء الترجمة المناسبة كان لقناعاته وخلفياته، أما بوكاي فقد اجتهد أولاً في تقديم ترجمته الخاصة به (لم ترد في الترجمات الرسمية والمتوفرة)، بالرجوع إلى الاشتقاق اللغوي للفظه علق/علقة، معتمداً على أحد المعاني الإضافية لها وهي التعلّق⁷⁵ ليستنتج بعدها التوافق القرآني/العلمي.

قد تكرر السّجال في موضوع تعارض القرآن الكريم بالعلوم الحديثة، لكن هذه المرة بين ويليام كامبل والداعية المعروف ذاكر نايك (و.1965م) سنة 2000م، بشيكاغو، وكانت مناظرة علنية أمام الجمهور دامت أكثر من أربع ساعات، وهي منزلة على اليوتيوب⁷⁶، تقدّم في بدايتها كامبل بطرح أول إشكال، والذي يتمثّل في الخطأ العلمي لتطوّر الجنين في القرآن، وكانت أول حججه مبنية على ترجمة لفظة علق/علقة إلى clot of blood مكرراً ما فعله مع بوكاي؛ فلما جاء دور ذاكر نايك، لم يعقّب على الترجمة التي اعتمدها كامبل - والتي قد نقدتها بوكاي من قبل كما مرّ ذكره -، بل أقرّها بدوره وذهب يؤولها بما أنّ العلقه تتكون بين/في الأوعية الدموية، وُصفت بأنها دم متجمد أو متخثر، ولم يكتفى نايك بدفع التعارض، بل حاول استنتاج من ذلك التأويل سبقاً/إعجازاً علمياً في القرآن؛ وهو بإقراره الترجمة الخاطئة ثم تأويلها يفتح إشكالات أخرى، منها انتقال نسبة السبق العلمي (الإعجاز العلمي) الذي توصل إليه، من النص القرآني إلى المفسرين، حيث كانوا هم من شرح العلق/العلقه بالمرحلة "الدموية" للجنين في تصورهم وليس القرآن، وهذا النقل للسبق العلمي من جهة إلهية (القرآن) إلى جهة بشرية (التفسير) يعود على دعوى ذاكر نايك - ومن يتبنى الوجه العلمي في الإعجاز - بالإبطال؛ أيضاً، يفتح إقرار نايك للترجمة الخاطئة ثم تأويلها إشكالاتاً لغوية على مستويين؛ اشتقافي للفظه علق/علقة، كما مرّ بيانه⁷⁷، وتركيب للجملة في النص القرآني، حيث جاءت الآيات واصفة لتلك المرحلة بصيغة تدل على المصدرية أو التبعية

⁷⁴ Cambell, le coran et la bible, p12.

p204. ⁷⁵ Bucaille, la bible le coran et la science,

⁷⁶ <https://www.youtube.com/watch?v=zF3AHTcfFg&t=554s>

⁷⁷ هامش رقم (20) من هذا المقال.

بإعمال حرف "من"، "... من علقه"، "... من علق"، وليس بصيغة تدل على الظرفية بإعمال حرف "في" مثلا، (نحو: خلق الإنسان في علق/علقه)، ما يجعل تأويل نايك في كون البويضة تتكون وسط أوعية دموية بعيدا حتى من الناحية اللغوية (الاشتقاقية والتركيبية)، وقد كان أصل الإشكال هو الترجمة الخاطئة للفظه/علق/علقه، وكان الأولى حصر المشكل -أولا- في تحرير تفسيرها لغويا ثم -ثانيا- ترجمتها بحسب أصل اشتقاقها ودلالة سياقها.

ومهما يكن من مجانبة للصواب في تعقيب نايك وتأويله للآية، أو بالأحرى تأويله للترجمة التي فرضها كامبل في المناظرة، وبغض النظر عن متابعة بعض الباحثين لنايك ونقل تأويله ممن لهم اهتمام بالشأن السجالي بين الأديان، (على سبيل المثال تبني سامي عامري لتأويل نايك في كتابه "العلم وحقائقه بين سلامة القرآن الكريم وأخطاء التوراة والإنجيل"⁷⁸)، فإن المقصود من مناقشة هذا المثال في هذا المطلب هو إظهار الإيديولوجية التي كانت من وراء الانتقائية التي مارسها الطرف المقابل لل طرح المقدس للقرآن في اختياره للترجمة المناسبة له، والتي تجعل القرآن كالمعارض للحقائق العلمية.

النتائج:

- أول ما يمكن استنتاجه بعد هذه الدراسة، الكم الهائل من تداخل الحقول المعرفية المختلفة في عملية ترجمة القرآن بمختلف مواضيعه عموما، وترجمة آيات الكونيات والطبيعات بالأخص، إن على المستوى العلمي وإن على المستوى القرآني وإن على المستويات اللغوية المختلفة (اللسانية، المعجمية، النبوية، التركيبية...)، سواء في لغة الأم أو الهدف، ما يبرر الكثير من الأخطاء الواردة في ترجمتها، حيث ان احتمالية الخطأ فيها تكبر، بسبب تلاقي وتراكم احتماليات الخطأ في كل حقل من الحقول المعرفية الأخرى في محل واحد. وقد استشعرنا -في بضع أمثلة فقط- التعقيدات التي قد تعرّض إليها المترجمون من قبل والتي قد يتعرّض لها -بلا شك- فيما بعد.

- يمكن حصر أسباب الخطأ الترجماتي في آيات الكونيات والطبيعات في سببين، سبب لغوي تفرضه اللغة الخاصة بالقرآن كنص مقدّس في خلفيته العقدية، والمعقد في بنائه المعجمي والأسلوبي، وهذا السبب متعلّق بالنص المترجم؛ وسبب إستيمولوجي، تفرضه طبيعة المترجم البشرية في محدودية ونسبية المعرفة لديه اتجاه العلوم الكونية والطبيعية، كما يمكن تصنيف السببين على أن الأول داخلي والثاني خارجي باعتبار تعلّقه بالقرآن، وقد اجتمع لدينا السببان في الخطأ الواحد بنفس الدرجة في كل الأمثلة المدروسة تقريبا.

- من خلال إسقاط الألفاظ الواصفة للكونيات والطبيعات في القرآن على تقسيم الشاطبي الثنائي لدلالة الألفاظ (الأصلية/التابعة)، وبعد التمثيل لكل قسم منهما، تبين لنا مدى أثر المعاني التابعة للفظة في تحقيق خصوصية القرآن عندما يصف الظواهر الطبيعية بالذات، والمتمثلة بخصوصيتي الصدق والدقة، والتي هما خصوصيتان يربطهما القرآن بصفات إلهية؛ وفي ظلّ هذا الربط، تظهر مدى صعوبة الترجمة من هذه الزاوية -أيضا-، إذ أنّ الخطأ فيها -من طرف المترجم "البشر"- جد محتمل كذلك؛ كما يلاحظ أن الخطأ في ترجمة الألفاظ ذات الدلالة الأصلية أقل بكثير من الألفاظ ذات الدلالة التابعة، وبهذا التفريق بين قسمي الدلالة تُحمل ازدواجية الرأي عند بوكاي اتجاه ترجمة ألفاظ الظواهر الطبيعية في القرآن، والتي تردد في كونها سهلة متيسّرة أم صعبة متعذرة.

⁷⁸ عامري، العلم وحقائقه، ص 448.

- وجدنا توافقاً كبيراً بين التكوين/المستوى المعرفي لدى المترجم والخطأ الترجماتي للكونيات والطبيعات في القرآن؛ تماماً كما طرحه بوكاي، لكن يجدر التنبيه إلى أن وقوع الخطأ في الترجمة بسبب التكوين المعرفي لدى المترجم قد كانت أيضاً من جهة المترجمين "الموافقين" للخلفية العقدية القرآنية، أي المسلمة لربانية المصدر القرآني، ما يجعل الإشكالية المعرفية عند ترجمة الكونيات والطبيعات في القرآن إشكالية قائمة بذاتها، ومتعلقة بتكوين المترجم (خارج عن النص) لا بخلفياته الإيديولوجية، كما ظهر لنا عدم اشتراط الرصيد العلمي التخصصي والعميق لدى المترجم لتحرى الترجمة الصحيحة للكونيات والطبيعات، خلافاً لما اشترطه بوكاي ومن تبني -مثله- نظرية الإعجاز العلمي في القرآن، بل يكفي فيه أجدديات المعارف العلمية، خاصة المرصودة منها والمشاهد، كمراحل تكون الجنين أو تشكل الكون أو شكل الأرض والجبال وحركة السحب والرياح وأدوارها في تلقيح النبات وغيرها، تلك الأجدديات التي قد كلف الجهل بما عند بعض المترجمين الخطأ الساذج، كما أن تلك أجدديات تتوافق مع الأسلوب القرآني "السطحي والبسيط والبعيد عن التعقيد" في توصيف الظواهر الطبيعية، وهذه النتيجة جاءت كالجواب لتساؤل كامل حول شرط بوكاي المعرفي الذي وضعه للمترجم قائلاً -أي- كامل- بالحرف: إلى أي مدى؟⁷⁹ «Jusqu'à quel point ?»

- توصلنا إلى عدم ظهور الدافع الإيديولوجي من وراء الخطأ الترجماتي للكونيات والطبيعات في القرآن من خلال الترجمات التي وقفنا عليها في هذه الدراسة، حيث لم يظهر لنا صراحة، ولا حتى تلميحاً من خلال حواشي الترجمات والتعليقات عليها، وهذا ما يجعل رأي بوكاي وقصّاب وغيرهما من أنّ الدافع الأساسي لمثل تلك الأخطاء هو التحيز الفكري والعقدي، هو رأي توجسي أكثر منه استشكالي، خاصة وأن صعوبة الترجمة الناجمة عن الطبيعة اللغوية المعقدة للقرآن طالت جميع المترجمين بمختلف خلفياتهم الإيديولوجية، كما أن الجانب الموافق للخلفية العقدية اتجاه القرآن من المترجمين قد وقعوا في نفس أخطاء الجهة المقابلة، وبنفس الأسباب (الداخلية والخارجية)، بل قد أخطأ الطرف الموافق في بعض الموطن الذي أصاب فيه الطرف المقابل (على سبيل المثال رأينا فيما سبق ترجمة العلقمة من بين خطأ حميد الله وصواب كل من بلاشير، وبيرك، أو خطأ ترجمة الفرت بين خطأ كل من عبد الله بونوه وكشريد وصواب ماسون وبلاشير وشوراكي)، ما يبرّح -في ما يظهر- الجانب العفوي والحتمي لمثل هذه الأخطاء، وهذا لا يعني غياب الدافع الإيديولوجي تماماً، فقد وجدناه، لكن بعيداً عن ترجمات القرآن الرسمية المتداولة، وبشكل صريح في الطرح السجالي حيث ظهرت انتقائية الطرف المقابل بشكل واضح، (على سبيل المثال كامل ضد نايك).

Bibliography:

'Amiri, Sami, Al 'Ilm wa Haqiqahu bayn Salamat al Quran al Karim wa Akhta al Taurat wa al Injil, rwasikh, Kuwait, 2020.

Abu Talib, Muhammad, Mulahazat haul Tarjamt al Quran al Karim, majallah Tarjaman, Madrasat Malik Fahd al 'ulya li al Tarjamh, 2/8, 1999

Abu Ya 'arab al Marzuqi, Ashya min al Naqd wa al Tarjamah, Jadawal al Nashr wa al Tauzi ' . 2012.

⁷⁹ Cambell, le coran et la bible, p204



Abu Ya 'rab al Marzuqi, Al tarjamah wa Nazariyatuh, Al Majma ' al Tunasi lil 'Alum wa al Adab, Bait al Hikmah, 1989

Al 'Arifi, Sa 'ud, Manhaj al Istadlal bil Muktashafat al 'Ilmiyyah 'Ala al Nabuwat wa al Rabubiyah, London, 2014.

Al 'Umairi, Sultan bin 'Abdul Rehman, Zahirat Naqd al Din fi Fikr al Gharabi al Hadith, Takwin lidarasti wa al Abhath, 2018.

Al Dhahabi, Muhammad Hussain, Al Tafsir wa al Mufasssirun, Dar al Hadith, Al Qahira, 2005.

Al Hauli, Muhammad Ameen, Manahij Tajdid fi al Nahwi wa al Balaghat wa al Tafsir wa al Adab, Dar al Ma 'rifah, 1961.

Al Jurjani, 'Abdul Qahir bin 'Abdul Rehman, Asrar al Balaghah, Dar al Madani, 1991.

Al Khidari, Hana Jarjas, John Calvin darasah Tarikhiyyah 'Aqaidiyyah, Dar al Thaqafah, Al Qahira.

Al Mudarras, 'Ali Sirri Mahmud, Al 'Ahd al Qadim Drash Naqdiyyah, Al Akadimiyun lil Nashr wa Tauzi ', 2007.

Al Saba 'I, Mustafa, Al Istashraq wa al Mustashriqun ma Lahum wa Ma 'Alaihim, Dar al Warraq. dnm.

Al Shatibi, Abu Ishaq bin Musa, ed., Mashhur Hasan, Al Muwafqat, Dar Ibn al Qayyim, 2003.

Al Shaukani, Muhammad bin 'Ali, Fath al Qadir al Jami ' bayn Fannai al Riwayat wa al Dirayat fi 'Ilm al Tafsir, Revision and commentary by Hisham al Bukhari and Khidar 'Akkari, Al Maktabah al 'Asariyyah, 1996.

Al Shaukani, Muhammad bin 'Ali, Irshad al Fahul Yla Tahqiq al Haq min 'Ilm al Usul, Dar Fadilat lil Nashr wa al Tauzi ', 2000.

Al Yahyawi, Karimah, Darash Tahliliyyah wa Muazanh li Tarjamat Ma 'ani ba 'd al Ayat al Kauniyyah fi al Quran al Karim

AlHamadani, Yusuf bin Al Shaf 'I al Sayyid Ahmad. Tarjamt Ma 'ani al WQuran al Karim min Qibal Ba 'd al Firaq al Dalah, Nadwat Tarjamat ma'ani al Quran al Karim, Majma ' al Malik Fahd li al Taba 't Mushaf al Sharif. 2001.

Berque, jacques, *Le Coran*, (Paris : Édition Albin Michel, 1995).

Biyumi, Samih Anwar Ibrahim, Athar al Tarjamh fi Nashr bad al Mafahim al Maghlutah, Tarjamt al Qadyaniyyah li kalimat al Jihad fi al Quran al Karim Namuzajan, Majallah Qata 'al darasta al Insaniyyah,.23/23,2019

Blachère, Regis, *LE CORAN (al-Qor'ân)*, (Paris : Maisonneuve et Larose, 1966).

Bucaille, maurice, Tallbi, Mohamed, *Réflexions sur le coran*, (Paris : Editions Seghers, 1989).

Cambell, William, *le coran et la bible a la lumiere de l'histoire et de la science*, (France : Edition farel, 1989).

Le CORAN, L'Appel, (Paris : Robert Laffont, 1990). القرآن Chouraqui, André,

Draper, Jhon William, *History of Conflict Between Religion and Science*, (USA, CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS, 2009).

Fakhr al Din bin Maulud, Naql Ma 'ani al Quran ila Lughtin Ukhra bayn al Tarjamati wa al Tafsir, Nadwat Tarjamat ma'ani al Quran al Karim, Majma ' al Malik Fahd li al Taba 't Mushaf al Sharif. 2001.

Fritjof Schuon, trans., 'Afif Damishqiyah, Kaif Nafham al Islam, Dra al Adab, Beirut, 1978.

Hamidullah, Muhammad, collaboration de Michel léturmy, *Le Saint Coran*, (France : Club français du livre, 1956).

<https://www.universalis.fr/encyclopedie>

Ibn e Faris, Abi al Hussain Ahmad, Mu 'jam Maqayis al Lughah, Dar Ihya al turath, Beirut, 2001.

Ibn e Kathir, Abu al Fida Ismail, ed., Sami bin Muhammad Salamah, Tafsir al Quran al 'Azim, Dar Tayyibah lil Nashr wa al Tauzi ', 1999.

Ibn e Manzur, Jamal al Din Muhammad, Lisan al 'Arab, Dar Sadir, Beirut.

Ibn e Rushd, Muhammad bin Ahmad, Fasl al Maqal fi Taqirir ma bain al Shari 'ati wa al Hikmati min Ittisal, Markaz Darasat al Wahdah al 'Arabiyah, Beirut, 1997.

Ibn e Taimiyyah, Ahmad bin 'Abdul Halim, ed., Muhammad Rashad Salem, Dar Ta 'arud al 'Aqli wa al Naql, Idarat al Thaqafah wa al Nashr, bi Jami 'at al Imam Muhammd bin Sa 'ud al Islamiyyah, 1991.

Jurji Zaidan, Tarikh al Tamaddun al Islami, Muassasah al Hindawi, 2012.

Kassab, mohamed yacine, *les milles vérités scientifiques du coran*, (2 Tomes, Alger : Edition salama/sarri, 1990).

Kazimirski, Albert, *LE CORAN*, (Paris : Les Éditions du cerf, 2020).

Kechrid, salah ed-dine, *Initiation à l'interprétation objectivs du texte intraduisible du Saint Coran*, (Beyrouth : Edition El-gherb Elislamy 1984)

La présidence générale des directions des recherches scientifiques islamique, de l'ifta, de la prédiction st de l'orientation religieuses, *Le Saint Coran et la traduction française du sens de ses versets*, (Médina : Le Complexe du roi Fahd, 1410).

Maqatil bin Sulaiman, ed., 'Abdullah Mahmud Shahatah, Tafsir Muqatil, Muassat al Tarikh al 'Arabi, 2002.

Masson, denis, *Essai d'interprétation du CORAN inimitable*, (Paris : Gallimard, 1967).

Muhammad Abu Al Ghait Fart, Bulus wa al Masihyyah, dar al Taba 'ah al Muhammadiyyah, Misr, 1980

Muhammad Sayyid, Al Haqiaqah al Mutlaqa bain al 'ilmi wa al Falsafah,

Musa 'id binSulaiman Al Tayyar, ed., Al Madkhal ila Mausu 'at al tafsir al Mathur, Markaz al Dirasat wa al Ma 'lumat al Quraniyah, Dar Ibn e Hazm, Beirut, 2017



Penot, abdellah, *Le Coran traduit et annoté par A.Penot*, (France : Edition Alif).

Ricoeur, Paul, *Sur la traduction*, (Paris : Bayard, 2004).

Savary, claude-etienne, *LE KORAN traduit de l'arabe, accompagner de notes, précédé d'un abrégé de la vie de Mahomet, tiré des écrivains orientaux les plus estimés*, (Paris : Garnier frères, Librairies-éditeurs, 1892).